

لوحة الغلاف

تراث قريب هذا الذى حفظه التصوير الفوتوغرافي من قلب التوبة الفريق .. سيظل يذكركم بان شعبا سكن هذه الارض وادع جدران مساكنها التي غيبها النهر ابداعا مذهلا كلزوع ماغاسي به وجدان الشعوب .. تكن حبقريه المرأة التوبية في فنون التشكيل .. لا ترضي لبنيتها ان يكون مجرد مسكن وانما هي تريد مسكنا تشع فيه اللفة والفن .. هي التي تعرض على تزيين جدرانها ومداخلها بزخارفها الرائعة وهي التي تفسلي عليه دهافة حسنة ... لكل بيت ذاتيته الخاصة تشع من روح الفنانة التي ابدعت تصويره ..

ولوحة الغلاف تمثل بيتا زيتت مداخله الرائعة قناة من بنات شعب التوبة وهو نموذج من بيوت لا حصر لها حرص المصور المبدع عبد الفتاح عيد على تسجيلها ...

ان مجموعات عبد الفتاح عيد من التوبة والواحات وآثار مصر والطبيعة المصرية والفنون التشكيلية هي من أروع ما يمكن ان تقدمه للعالم تصور من حفسارتنا ومن حياتنا .. ما أجدرها بان تصدر كتباً تصاحبها نصوص أدبية مصرية عن روح مصر ..

هل لنا ان ننظر من وزارة الثقافة تحقيق هذا الامل ؟



بيت من التوبة

تصوير : عبد الفتاح عيد



نظمت وزارة الثقافة خلال الشهر الماضي معرضاً للتصوير الفوتوغرافي الدولي شارك فيه الاتحاد السوفيتي وفرنسا والهند واليابان والتمسا . ايطاليا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديمقراطية ورومانيا ويوغوسلافيا ومصر ..

الاحساس العام الذي نطغى به من هذا المعرض هو ان فن التصوير الفوتوغرافي يؤكد نفسه كتعبير خلال وان الصورة الفوتوغرافية لا تقف عند مجرد التسجيل وبراعة الاضاءة من الظلال والاصواء وانما هي تحمل وجهة نظر كل مصور وذلكلاء الغنى وقدرته على ان يجمع المثيرات في تكونات مصرية وان يسجل من خلالها لحظات خلاقة ..

ولوحة الغلاف المثلثي « بالية السنغال القومي » للفتان الاسلامي نابوليهر نموذج من الاعمال الرائعة التي قدمها هذا المعرض ..



بالية السنغال القومي

معرض التصوير الفوتوغرافي الدولي

بدر الدين أبوغازي

تقديم هذا العدد

يحيى حق

ما الذى يفرى انسانا ان يقم على الناس نفسه ليعرض عليهم بعض ما يدور فى رأسه ويقول انا فنان .. لا عبر له الا اذا بلغ فيه هذا درجة من النضج - لا نجدها فى انفسنا - تعلمنا على الانصات له والانتفاع والاستمتاع به . فلا فن ان لم يكن وليد هذا النضج ، نضج العقل والروح والصنعة معا ، فالفن يتعالى عن الفجاجة وامشاق الثمرينات وعثرات الحبو ، انه يتطلب بلا حياء امجاد الرقعة والكبرياء ، فاما بلغها فحققتها بخسوع وتواضع ، هو حركة الى اعلى لا الى ادنى ، ليس نباتا يخلط بالحمود وينجبه الضلال .

وقد سبق للمجلة ان خصصت احدى اعدادها للطلاليع فى فن القصة القصيرة وما هى ذى اليوم تقدم للقارى . عددا تزعم انه يختص كله بالمواهب الناشئة .. وهى لانكر ان الراى يختلف ، وان الذى تنشره هو البعض لا الكل ، فهى مقيدة بحجمها وافق رؤيتها ، ومقدرتها - لا شك محدودة - على الاتصال والتعامل فى السوق ، فلنقل اذن انها نماذج متفرقة . لا تؤلف صورة كاملة شاملة ولكنها مع ذلك تعين على رؤية واقع القصة القصيرة عندنا من بعض جوانبه .

ولا مجال للتعليق على هذه القصص كما فعلنا فى عدد الطاليع ، غير ان هذا لا يمنعنا من الوقوف عند بعض السمات التى تتكشف من التجمع ، واولها التنوع ، فليس عندنا مذهب غالب طاع على بقية المذاهب ، وهنسا يبرز السؤال عن صفة المعاصرة ، فلو كانت شرطا للفن لكانت حدة هذا التنوع قد خفت ، قصص ملتزمة مع قصص غير ملتزمة ، قصص تعكس الحاضر وبعضها رؤيا سابقة (فقد كتب الاستاذ يوسف الشاروني قصته قبل النكسة) بعضها يمت بسبب بعيد الى مزاج المدارس الحديثة فى فرنسا ، وبعضها باق على الاسلوب التقليدى ، وبعضها امتداد للمدرسة الواقعية فى العهد الذى انخسرت بعده موجتها ، ولعل هذا التنوع هو السبب فى ان الحكم على فن القصة لا يزال عندنا حكما فرديا ، مشتتا ، فنانا ، حتى لتبين بالتجربة انه قلما يجتمع اثنان على رأى واحد فى حمد قصة او ذمها ، قبولها او رفضها هل هذا لأن مفهوم فن القصة ذاته لا يزال غامضا عندنا ، ام ان هذا المفهوم قد ضاع بسبب غيبة النقد او بسبب غلو الوجود منه فى الاهتمام بالمصطلحات والنظريات او بسبب

قعوده عن التنوع واقتباس وسائل جديدة معروفة ومطبقة في أمم الحضارة ، ايا كان شأنه فلا نغفر له على الافل تخلفه حتى من تاريخ هذا القدر الضئيل القصير العمر من انتاجنا القصصى ، فقد اكتشفت أخيراً بمحض الصدفة أعمالاً للرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق تمثل مرحلة هامة في نشأة القصة عندنا ، هي منشورة في كتاب منذ زمن غير قليل . ومع ذلك لم تحظ بالنسبة أحد من مؤرخي القصة عندنا ، لا بد أن نتولى التفتيش عن آثارنا حتى نجلوها جميعاً . أو قد نقول أنه لم ينشأ عندنا بعد مجموعة من الآراء المتجذرة حول مفهوم للقصة ، يكون لها ضغطها وقدرتها على أن تجذب نحوها الابتكار والتقدم معاً ، وقد كنا نعلم قبل من حدة الفروق الطبقية ومن تشتت ألوان الثقافة وتاريخها بين أقصى القديم وأقصى الجديد : أبناء الأزهر ودار العلوم والمدارس الحكومية ومدارس المبشرين وجامعات أوروبا ، ولكن حدة الفروق الطبقية قد خفت والوان الثقافة تجمعت على نسق متقارب الدرجات ، الرؤوس تساوت واختفت العمامة والطربوش معاً ، فمن المحير حقاً أن لانشأ عندنا هذه المجموعة من الآراء التي اشرت إليها ، فهل من تعليل ؟ وقد يكون العلاج أن لا تتوزع قراءة الف كتاب على جيل الشباب في المدارس ، بل أن يجتمع كله على قراءة عشرة كتب ليس الا من عيون الادب العربي ثم يتفرق بعد ذلك كما يجب ويهوى ، لا بد من قدر ولو ضئيل للتجانس في الثقافة .

ومن السمات أيضاً مداومة البحث عن شكل للقصة ، لا بأس اذا كان الفرض هو مطابقته للضمون وختمته ولكن الخطر هو أن يكون التجديد غاية في ذاته فنحس بالقلقلة بين الشكل والمضمون فقد يؤدي الشكل المتشعب إلى قصصية أو غموض يزولان لو عدل الكاتب إلى شكل آخر ، وواضح بعد ذلك أن بعض كتاب هذا العدد قد تحرروا بسبب نضجهم من التزمّت الشديد في الأخذ بقواعد القصة فلم يتعمروا من الاستمرار أو الإضافة بعد وظيفة فيها الشيع والكمال ، وهم كتبت انتهى أن يكون التنوع عاكساً أيضاً لتنوع وحيات المجتمع في أحوالها الخاصة بها وحياتها المختلفة ركاب البحر على السواحل ، ركاب النيل طلوفاً ونزولاً ، أهل الواحات وأحسان الوادي ، عمال الحاجر .. الفجر .. فهذا العدد يدل بشهادته النسبية على أن النطاق الاجتماعي الذي تتحرك فيه القصص لا يزال محدوداً وإن اختلفت أنماطه . لن ننشأ دراسة جادة للادب الشعبي إلا اذا عني الابتكار باستلزام كل جوانب التنوع في وحدات المجتمع .

وكتاب هذا العدد في غير حاجة إلى تعريف ولكن لا بد أن أشهد لهم سعة معرفة وتجربة أنهم يخالون جميعاً فنهج مآخذ الجدد ، كرامته من كرامتهم وكرامتهم من كرامته ، يقفون على فنهج كل جهدهم وصبرهم واصرارهم على الاتقان والتجويد ، لا يحرهم جميعاً إلا دفع واحد أن يكون لبلدهم العظيم ادب جدير به .

يسر المجلة أن تقدم هذه القصص التي يميل أغلبها إلى الطول ، ولو لم تفتح صدرها لها لتعلم نشرها في الصحف اليومية الابتزائها والاضرار بها .

ويسر المجلة أيضاً أن تضم اليهم كاتباً تنشر له قصة لأول مرة ، هو الاستاذ عبد الحكيم قاسم الذي بدأ بشبابه يصعد السلم ، ليكون في هذا الانضمام رمزاً للارتباط بين الاجيال وتبشيراً بالمستقبل .

من دفتر قديم ..

مقتطفات من ست محاضرات القيتها فيما مضى

على طلبة معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية
عن « تجاري في القصة القصيرة » ملاحقة لمحاضرات
الأستاذ علي أحمد باكثير عن تجاربه في المسرحية ،
ومحاضرات الأستاذ عبد الحميد جوده السحار عن تجاربه
في الرواية الطويلة وقد صدر لكل منهما كتاب يتضمن
محاضراته . أنشر هذه المقتطفات لأول مرة ، مبقيا على
النص الذي وجدته لها في دفتر قديم عندي لتكون
مثلة لمرحلة في الطريق فلعل لو كتبها اليوم لكانت
شيئا مخالفا ، وتحديد الجامعة العربية لهذه هذه
المحاضرات ومضمونها هو الذي اضطرني الى التحدث
عن النفس .

بالمحاضرات ، الخير يسمو الى ارفع قمة ، الشر
يهبط الى أسفل درك ، الصراع الطويل بينهما
حتى ينتصر الخير ، ذرف الدموع على أحزان
المساكين وهم ضياع في كف القدر ، الابتسام
لمواطف عاشقين يريئين ثم الرغاء لهما حين
يفرق بينهما الوضعباء والخيشاء الأناثيون ،

القصة القصيرة التي علق بها قلبي هي باب
من أبواب فن القول ، هي تعبير فني ، الجمال
غايتة القصوى ، ينبغي التفريق بينها وبين
القصص التي تكتب للتسلية ، اني لا أرى
بها فللناس ابدا حاجة الى التسلية واللهو ،
للهرب من واقع الحياة الى عالم يهولهم

الفرحة لهما حين يجتمعان ، التهليل لفقره
تنزوج من تبيل ثرى ، التشقى من بخيل اذا
نهبه ابنه ، وهكذا ، ينسون أنفسهم لحظة ،
واذا فرغوا من الكتاب نسوه هو ايضا ، لانه
امة من مثل هذه القصص ، حتى ارقى الامم .

اريد أن أقول لكم شيئا آخر فى تبرير هذه
القصص ، انها بلغتها ويوصفها حياة الناس
واحاديثهم ومعاملاتهم تصلح فيما بعد أن تكون
مرجعا تاريخيا للمهد الذى نشأت فيه ، فبعض
القصص الحاضرة عندنا التى قد لا يرضى عنها
بعض النقاد ، أو على الأقل يدور حول قيمتها
الفنية جدل غير قليل قد يسفر التحقيق عن
انها ستصبح فيما بعد المرجع التاريخي الذى
يعين الباحث على دراسة تطور مجتمعنا وجيلنا
الحاضر وبخاصة فيما يتعلق بالتحول الكبير
فى عواطف الشباب وعلاقاته الغرامية .

السعادة والقلق ، انه يعاشرك ويبتسم ، ولكنه
لا يغضى بسره ، هو شخص ذو حياة ، لا يحب
الهجوم عليه ، والترصد له ، والامسك
بتلابيبه ، واخذة بالخناق ، انه ينتفع بحواسك
الخمس كلها وتشعر أن له من الحواس الخاصة
به عددا لا تعرفه ، لاتعرف هل هو منبعث من
أعماق الأرض ، من العهود البدائية ، أم يهبط
من السماء ، أم هو خيط يصل النهايتين . هل
هو هبة من الله خارج نطاق المنطق والعلل أم
ورائى بكل ما فى الوراثة من نزوات فتغفل
عن ابن لتجتنب اخا له نشأتها واحدة ، وتمر
مر الكرام على جبل فى أسرة لتقفز الى جبل
لاحق ، الله أعلم ، فليست أعرف ان العلم
الحديث قد كشف سر هذا المزاج ، وكأني
أتمنى أن لا يكشفه فان هذا القبوض جزء من
سحره . وقد حاولت فى بعض ما كتبت أن
أخبر عن المسائل السابقة ، لأنها تشغلنى ،
وسأقدم لكم الامثلة فيما بعد .

ولكن ما هى هذه القصة القصيرة التى
علقت بها ، قلت لكم انها باب من ابواب فن
القول ، أى (الأدب) ان شئتم ، فالأدب
والموسيقى والتصوير والنحت والعمارة فنون
تنمى من معنى واحد ، أحسست به بوضوح فى
نفسى فى مجال القصة ، فاذا كنت فى حياتى
لم أرسم صورة ، بل ولا خطا فبهاء مستقيما
أو دائرة غير منبجعة ، ولم أضع خنا أو أعزفه
حتى على صفاير الاطفال ولم أبن عمارة حتى
من حجارة الدومينو فانى مع ذلك قدمت طلبا
للاتحاق بهذا النادى الذى يضم اتباع الجميع
لأننى أسير فى ركايتهم وأعلم ان عندهم لاعتد
غيرهم حل مشكلاتى وشفا صيرواتى .

القصة التى علق بها قلبي هى التى :

١ - تصنيف جديدا : بأن تكشف عن

وقع فى يدى أخيرا دفتر صغير كانت أختى
تقيد به مصروف بيتها منذ عشرين سنة .
فجعلت أقرأه كأنه كتاب تاريخ ووقته الطويل
الأرقام وحدها جو ذلك المهد كله ، حتى وأنا
أقرأ ثمن « جوز فراخ » وصل لسمعى صوت
بانمها فى ذلك الحين .

وشبيه بهذه القصص الروايات البولسية ،
وقد أسفر تحقيق صحفى فى إنجلترا عن أن
كبار قادتها وعلمائها يهيمون بقراءتها .

لم أكتب قط قصصا للتسلية ، حتى يقصد
أن أجعلها مراجع تاريخية ، ولا أعرف الآن
وأنا أفحص نفسى عارية أمامكم هل عن الادة
أم عن عجز ، ولكن لا شك عندى انها لا تروى
غلثى ولا توافق مزاجى . فالمزاج الفنى سابق
على العمل الفنى ، انه الدعامة ، المنبع ،
السند ، انه القماند والحكم ، انه مصدر

مجتمع ، هو مطالب قبل غيره لتثبيت ثقة هذا المجتمع في نفسه وإيمانه بفضائله الأصلية وقدرته على التقدم وتحقيق العدالة وتدقيق الجمال .

٥ - تكون أنيقة مهذبة ، فلا تكون عامية الذوق في اختيار مواضيعها وأساليبها حتى في معالجتها لطواهر العامية ودلالاتها، بل حتى في وصفها ومحاولة إعطاء صورة صادقة لها ، وليس معنى هذا ان الكاتب لايعني بالقبح كما يعنى بالجمال ولكن ينبغي ان لا يكون تناولها للقبح غاية في ذاتها أو خضوعا لسحره ، فللقبح كما للجمال سحره - بل يحاول أولا التفريق بين القبح المنحرف - تصاشر جثته بقية الأحياء غير نادمة ولا خجلى ، والقبح الرافض ، مرد الحكم عليه ليس من معدته بل من الخراف رؤية الناس وفساد حكمهم ، ان كلمة تشير الى العورة على غاية في البذاءة اذا لم تحسم غرضا لا الاشادة بالقبح ، وقد تكون على غاية من الحياة والبذاءة اذا أعانت على صدق الرؤية والتمثيل بين بقية مظاهر الحياة ، يعيها التناقض .

٦ - تكون من حيث الصنعة متقنة ، متوازنة ، لها احياء يزيد ويقلو على جماع الفاظها . وسنرى مطالب هذه الصفة فيما بعد .

هذه شروط لم يدلى عليها أحد ، ولم أقرأها في كتاب ، بل أحسست بها في نفسي .

واود أن أقف معكم برهة عند فقرة في باب الفنان في كتاب (صبح النوم) وهي التي تصفه بقولها : " انه لا يحب الحمر ولا يشربها ، ان روحه جواد أصيل يعاف السوط ويكره أن تكون بدائع الفن وليدة عقد نفسية أو حرامان

بعض جوانب النفس نحن في غفلة عنها ، أو نراها ولا نفهمها ، أو نفهمها ولا نستطيع التعبير عنها ، كلامنا لا يحيط بها ولا يصل الى اغوارها ويخلط بينها وبين غيرها ، تكشف عن مجال الطبيعة في صورة جديدة من خلال رؤية انسان في موقف معيّن ، في علائق بين الناس لمر بها ولا ننسبه لقدرتها وحققها في إثارة الانتباه ، بالمطرب والرائد بالسخرية والفكاهة ،

٢ - تنقلنا من الصورة الجزئية المباشرة الى المعنى الكلي وراها ، هي التي تكشف سريرة الأشياء كما خلقها الله لا كما تبدو للعين فحسب ، بزمان ومكان وموقف ، ولا بد أن تتساقط نوافل التفاصيل تساقط نشارة الحشب من يد صانع الدمية .

٣ - ننفذ من خلالها الى روح الكاتب نفسه لنعلم من أي معدن هي ، ينبغي أن يكون لها كيان فذ لا يتكرر ، ووجه غمزة أكثر من قانون ، لا يفقرها البذل ، بل تجتهد عليه ، انه امطوية الذي يميزه ، لو عثرت له على الورقة الأولى فوجع استطلعت أن تعرف انه هو الذي كتبها ، كاتب له مذهب حتى ولو كان قائما على الحيرة وحدها ولكنه يرتضيه لنفسه بطبعه وفراسته ودراسته وعدائه ليفسر به الكون ومكان الفرد منه ، ولا ضير عليه أن يتحول من مذهب الى مذهب ، وليس مطالبا بأن يشرح لنا السبب ، ولكن لا مفر من أن يكون له في كل عمل مذهب تتجمع حوله آراؤه ونظراته .

٤ - تأنف من الانانية ، فلا تستكفي بأن الاضافة للعالم غاية في ذاتها يتم بها كيانها ونفمها وحققا في البقاء بل لاتترك هذه الغاية معلقة في فراغ ولكن تربطها بهوم مجتمعا .

فالكاتب ايا كان حقه في الفرد انسان في

عهدنا الحاضر الاهتمام الشديد بنزوات الفنان وشطحاته وغرائب شذوذه ، لقد أصبح الفنان قبل كل شيء رجلا مفكرا محتاجا أبدا الى مزيد من العلم والورثة .

جنسى أو ابخرة الحمر أو تهاول المخدرات ، فكل نتاجها سراپ خادع ، قد يبرق ، وقد يرتوى عليه الضال اذا خبطه الهذيان ولكن صدقه تفارق وعمره مباء ووجوده زوال .

فقد كتبت هذه الفقرة تحت تأثير العوامل الآتية :

٣ - أنفتى في تفسير الآثار الفنية التي يحق لنا أن نتميز بها بأنها وليدة شهوة جنسية موجبة أو مرض نفسي دنيء ، اذ لو وجدت هذه الشهوة استقامتها ومنطلقها وهذا المرض علاجه لما خرجت لنا هذه الآثار الجميلة ؟ أين أصالة جمالها الباقى إذن ، ان الجمال عندي مستمد من فهم سليم لسريرة الكون في نظامه الازل لا يعرف ناموسه الشذوذ والانحراف . بين يدى ديوان لشاعر يتحدث عنه الناس ، واضح كل الوضوح ان جزاه الأول من تساج معاناته للكبت الجنسي فى مطلع شبابه . ان الجزء الثانى مكتوب بعد اكتشافه من هذا الكبت ، اؤكد لكم اننى لا اطلق كلمة جزاء الاول وأحسن منه بامتعاض شهوة مبعثرة بل بالاحتة وصدقه وجماله ، وقد يقال ليس فينا انسان يغلو من عقدة نفسية ، فما الصل ؟ اذن لا مفر للفنان من ان يراقب نفسه مراقبة شديدة ليقطن ان انتاجه غير غارق في التهاويل المرضية الكاذبة ومجمل القول ان الفنان ينتفع ولا يخضع لعقده النفسية .

١ - ايمانى بطهارة الاحساس بالجمال ، وانه شعور فطرة سليم برى ، واكاد اربطه بعبادة الفرد لربه ان كان مؤمنا ، او تقدسه لاسرار الطبيعة ان لم يكن ، ولذلك فانى ضئيل بهذه الطهارة على صورتها ان يلوثها شيء من الزيف أو القسر والتحويل او ان يكون مصدرها شرا او مرضا .

٢ - ايمانى بان الانتاج الفنى هو تعاون وثيق بين العقل والروح ، واجب تعريف النفس عندي هو قولهم (الفن اتصال مضيق) فالانفعال هو من عمل الروح والاضيق من عمل العقل ، وانى لمؤمن بان العقل افس كثر جاد به المولى سبحانه وكان من نصيب الانسان ، ينبغي ان يحرس كل الحرص على بقاءه سليما تقيا متزنا يظا واعيا ، انه ببقائه هذا أقدر على المدى الطويل ان يعجز بانتاج اصيل جاد جميل جدير بالبقاء لصدقه ، أقدر منه لو اعتصرناه قسرا فى ومضات خاطفة فجاد بنتاج يراق كأنه فلتة هوائية ، ان الاثر الناجم من نفاذ العقل فى تأمله للكون هو ابن شرعى ، ابن حلال ، أما الاثر الناجم عن مضاعمة العقل للخمر أو الحشيش أو العقد النفسية المرضية فهو ابن غير شرعى ، ابن حرام ، يرتبط مولده بالخطيئة ، ويخيل الى ان الفن يتقدم فى طريقه الى القمة بمقدار تزايد نصيب العقل فيه وتوازته مع نصيب الروح . فقد تضائل فى

آن الأوان للإجابة على سؤال لامر منه وهو لماذا كان اتجاهى شديدا الى القصة القصيرة أولا :

أعتقد ان السبب هو تمسكى بالصدق ، وكان لاشي يفرئنى بالتحول عنه ، فقد عملت هاويا لا محترقا ، لا اكتب الا ما احس به ،

التحديد عندي لم يكن غاية مقصودة لذاتها بل وسيلتي للزعم اني يفضلهُ وحده أستطيع أن أنفذ من السطوح الى الأعماق ، وأن أنقل للقاري صورة واضحة تطابق قدر الامكان الصورة التي في نفس داخل اطارها الفني ، ولا شيء يسد الكاتب مثل احساسه بانفعال معين عند مقطع في قصته فوجد القاري يحس به في موضعه .

٥ - هيام بالايقاع وانتباه لموسيقى الالفاظ لا في نطقها فحسب بل أحيانا في رسمها أيضا ، أو بمعنى آخر هيام بالشعر ، بروحه لا ببحوره وقوافيه . والقصة القصيرة دون الطويلة وثيقة الصلة بالشعر ، وهي التي حققت مطمح في أن يكون للقطعة كلها لحن شامل يتألف وإن اختلف ويعلو عن الحانها الموضعية . ومقدرة اللفظ على الإيحاء بالنغم والاشتراك في تأليف اللحن الشامل لا يتبين في الرواية بل في القصة القصيرة ، وبعض القصص القصيرة التي كتبتها تكاد رغم طولها تقوم على إيحاء لفظ واحد ، يجرى في نهايتها ويكون ختامها ومفتاحها مما ، مثل كلمة « جذابة » في آخر قصة (امرأة بغير زجاج) وكلمة (تطلع) في نهاية قصة (احتجاج) ، ويلاحظ أن هذا الهوس كله ينفي عن الاسلوب أن تتكرر فيه الالفاظ حتى في مواضع متباعدة ، واعتقد أن قيمة الانتاج الادبي قد يصح قيامها بحصيلة المؤلف من الالفاظ لأن الالفاظ تؤدي بدورها معاني مختلفة ، فليست الأناقة هي المطلب ، بل التنوع والثراء .

والى مقتطفات أخرى في عدد قادم .

يحيى حقي

ولست ملزما بأن أبعث الى صحيفة بقصة كل أمبويج أو كل شهر أو حتى كل سنة ، حقا كنت أحس اذا لم أكتب قصة تتمخض بهسا نفسي اني موشك على التلف ، ويتأبني القلق في فترات العقم ، ومع ذلك لم ألجأ الى الافتعال . وقد وجدت القصة القصيرة مطابقة لمزاجي الذي جبلت عليه لا المكتسب ، وعناصر هذا المزاج هي : حب للتأمل ، فانا فرد في قبيلة يتفشي فيها الهيام به ، تأمل الوجود بأحيائه وجماده ، والابن البكر للتأمل هو الوصف ، والوصف يؤدي الى استخراج المبادئ ، وتوضيح العلاقات وبذلك تتشاكل مكانة الحادثة والحوار والتفاصيل وهي كلها من مستلزمات المسرحية أو الرواية وخصائصها . ومن الغريب أن التأمل يكون مصحوبا بخشوع قد تختلط به نفسة حزن دفينة للفرح عن الوصول ، وبخاصة عند الشرقيين ، وأما منهم . واذا كانت هذه النغمة مستبطنة في قصصي فهذا هو تعليقها ، ولقد رأيت نفسي أحاول على غير وعي مني تحقيق هذه النغمة بالسخرية من حماقة الإنسان ، ورغم ذلك حرصت أن تكون غير هدامة ، فانا منتهب الى أن السخرية سلاح له حدان ، وانها تقفر الروح اذا غلت .

٤ - حب للتحديد والاحتمية يبلغ حد الهوس ، تحديد المعنى وحتمية اللفظ ، مزاجي يمتد أشد المقت أهون اطناب أو زيادة أو ثرثرة ، يمتد المعنى الفاض واللفظ المانع ، فليس لمعنى واضح الالفاظ واحد محدد ، لا يقوم غيره مكانه ، وهذا التحديد يطاق في القصة القصيرة ولكن يبعث على الاختناق في الرواية الطويلة .

ومن قبيل فحص النفس أيضا أقول ان

حكاية ابن استيتة

بقلم: سعد الدين وهبه

لم تكن هريفا قد حدث في تلك الايام الا عن حكاية (ابن استيتة) ٠٠٠ كانت الموضوع المفضل لدى الصغار والكبار حتى انها غطت على جميع (البلاوى) التى نزلت على القرية فى تلك الفترة ٠٠ لم يتحدث الناس كثيرا عن قضية سكرتير الجمعية التعاونية الذى خيبت فلوس الفلاحين وهرب فقد هز الفلاحون رؤوسهم وقالوا - طيب ماهو طول عمره يعمل كده ٠٠ وقال آخرون ٠٠ بعد ايه ٠٠؟ بعد خراب مالطه ٠٠؟ وقال العقلاء ٠٠ ربنا يهمل ولا يهمل ٠٠

حتى حكايات عبد العظيم بيه الاقطاعى القديم الذى يحاول أن يستعيد نفوذه القديم بواسطة الاستاذ مراد سكرتير اللجنة والمستول السياسى قى الناحية ٠٠

حتى الاشاعة التى ردها الفلاحون بخوف عن رجوع الارض الى ملاكها القدامى بعد تعيين وزير الزراعة الجديد ٠٠ حتى هذه الاشاعة





ARCHIVE

غطت عليها ايضا حكاية الوالد ابن ستيتة والود ابن ستيتة هو فلاح اسمه محروس مات أبوه اسماعيل النجدى ومحروس ما زال يتحرك فى أحشاء امه ستيتة ، وعندما خرج فى النور طالت به امه المشايخ السبعة ، وزادت عليهم أيضا سيدى شبل فى الشهداء مع انه لم يكن ضمن المشايخ الذين ادرجت أسماؤهم فى قائمة الوصفة . وزيادة الحبر خيرين يا ستيتة وشئ لله يا اهل الله ..

وعاش محروس يحبو فى شوارع القرية متعثرا يكتشف طريقه فى صموبة من جراه الحرة الزرقاء والحبيسة والحجاب التى اصرت ستيتة على أن تربطها جميعا فى خصلة شعره فتتحول بين عينيه والطريق ..

ودب محروس فى حواري القرية وعندما صار صبيا . نزل الفيط ، ليجمع لطع الدودة وعندما (بربر) التطن نزل الفيط مرة أخرى ليشارك فى الجنى وشق محروس طريقه ..

الحقيقة انه داخلت نفس محروس بعض الهواجس من جراء ذلك النداء الآن كبير وعرف ان فى هذا النداء نوعا من الاستهانة به والتقليل من شأنه .. لماذا ؟.. هل لأن أباه قد مات .. أم لأنه كما قال له مرة عطية بن زيدان ان من رياه (مرة) .. نهايته .. هذا حكم القضاء .. محروس يقاوح .. مرة يشتم ومرة

الحقيقة انه داخلت نفس محروس بعض الهواجس من جراء ذلك النداء الآن كبير وعرف ان فى هذا النداء نوعا من الاستهانة به والتقليل من شأنه .. لماذا ؟.. هل لأن أباه قد مات .. أم لأنه كما قال له مرة عطية بن زيدان ان من رياه (مرة) .. نهايته .. هذا حكم القضاء .. محروس يقاوح .. مرة يشتم ومرة

يشتم .. مرة يضرب ومرة يضرب واهى
ماشية ..

وفجأة وبلا مقدمات دخلت الحكاية مخه
لا يعرف كيف ولكنها حدثت هكذا ككل الاشياء
السيئة أو السعيدة التي تحدث في الحياة ..
كان يجلس على باب دكان فرهود البقال عندما
أقبل مسعود الجش وفجأة هب جميع الجالسين
أمام الدكان وصافحوه ورحبوا به ودعوه الى
شاي أو قهوة أو كرسى معسل ، ولكن مسعود
اعتذر لهم جميعا ، ودخل الدكان ولكن فرهود
البقال يقفز من خلف البنك ليتلقاه بشر
وليعرض عليه الدكان كله تحت امره ..
واشترى مسعود حاجته ودفع الفلوس بالمقايضة
وخرج رأسه مرفوع الى السماء ، ويا أرض
ما عليكي الا أنا ...

ولم تنتم محروس في البحث عن أسباب
هذه الآية وهذه العظمة .. مع العلم بأن العظمة
له وحده .. ان مسعود كان
باب الله مثله تماما ، و .. د اليوم
أصبح عضوا في منظمة ..

وهذا الذي غير حياة ..
عضوية في منظمة ..
في المنظمة لأعضائه ملا ..
لأن ذلك من أين .. مسعود به حساب



التظليل الجديد .. هل اشتراه ؟ من أين
اشتراه وهو كمحروس ع الحديدة .. بالسلف؟
ربما ... ولكن من يسلفه في القرية وحالة
الجميع حباب ؟ ربما ظهر الذين يسلفون ..
لم لا ومحروس عضو المنظمة .. اذن هي
المنظمة ولا شك السر في هذا التحول الطير
الذي دخل على حياة محروس .. وسأل
محروس نفسه لم لا يكون مثل مسعود الجش
في المنظمة ؟ لم لا يكون مثل مسعود الجش
هذا الذي كان مثله على باب الله ثم صار
مهيبا رهيبا يخب في جلباب جديد .. لا شك
أنه عندما يصير عضوا سينتشر حاله .. على
الأقل سينسى الناس انه محروس بن ستيقة
وسيدكرون اسم أبيه على الفور ... وسهل
على محروس ان يعلم أن عضوية المنظمة
لا تتطلب شيئا أكثر من أن يقدم طلبا ثم
يتلقى تدريباً معيناً ...

وهذا الصباح كان محروس أمام الموظف
الذي يطلب منه في اشراف أن يلحقه
بالمنظمة وسأله الرجل عن سته وأوشك
من رسل المنظمة عمره الحقيقي لولا أن فطرته
منه أن يحسبها غامضاً داخله
.. ..
.. ..
.. ..

- له هو التو متى يتأخذوا كل سن ..
وأجاب الرجل :
- لا .. لمدة ثلاثين سنة بس ...
وأوشك محروس أن يفقر فاه ولكن
أجاب :
- الحمد لله أنا عندي ثمانية وعشرين بس ..
- ممالك شهادة الميلاد ..
- لا .. انما أجيبها لك ...
وخرج محروس مسرعا يفكر في الأكاذيب
التي اختلقها هكذا بالسليقة ...
كانت نجاحه من اقتضاح الكتب سر سعادته
ولكنها لم تلبث أن ذهبت لتسلمه الى هم
كبير .. لقد اقتضح اذن انه لكي يكون عضوا
في المنظمة لا بد أن يكون عمره دون الثلاثين
ها هي الشهادة في جيبه تثبت أن القطار لم

نظرية..
في الجلالة الفاسدة



بقام : يوسف الشاروني



ARCHIVE

المعلمة :

• يا معلمة ، أنا أظن أنك تعلم هذا يدك •

بغضبك يا معلمة ، لماذا أنا ؟ هذه مجاملة كريمة منك يا معلمة • نظرية الجلدة الفاسدة هي هي أن نعام أجهزة تكلف آلاف الجنيهات لسحب المياه وترسيبها وترشيحها وتعقيها ومد آلاف الامتار من الانابيب لتصل أخيرا الى منزلك • ولكن جلدة صغيرة فاسدة في صنوبر بيتك تكسر عليك طمانينتك وتجعل من تلك المياه المرشحة المعقمة تهديدا لك • أنت لا تفهمني يا سسيمي ، هذا ظاهر في عينيك • خذ مثلا ما وقع في قريتنا ••

كان واضحا من ملابس • ثم من حديثه • أنه لا يالتقوى ولا بالمدني ، تجاوز الريف دون أن يصل الى المدينة ، يرتدي جلباسا فوقه معطف ، في مضمه ساعة ، له شارب خفيف عاري الرأس وان كان يغطيها شعر اختلط أسوده بأبيضه ، يوحي بأنه تجاوز الحسمين ، لو قابلته منذ عشرين عاما لكان على رأسه طربوش بلا شك فسكان ما يزال محفوظا •

لم أتنبه الى وجوده الا حين تحرك العنطة وانصرفت عن التطلع من نافذته لاراء جالس أمامي على المقعد المقابل • ومنذ لحث عيشاي عينيه كان واضحا أنه يتلمس وسيلة للتحدث معي ، ولم أكن أقل منه رغبة • فقد ركبت بعد ظهر اليوم من محطة أسبوط ، وقرأت الصحيفة اليومية ولم يبق أمامي الا أن أصدق تارة في الجالسين وتارة في الحفل وأعمدة التليفون التي تهبط وترتفع وترتفع وتهبط وهي تركض الى الوراء • من محطة المنيا وركب ، وما أن تنبعت اليه حتى حياني في ألفة ، ثم استمار صبيحتي ، ثم سألني عن الوقت ليضبط ساعته •• الى أن وجدت صوته يملو ووجهي يقترب محاولين التغلب مما على ضجيج القطار ، هو يحدثني وأنا أصغي اليه ، لا يكاد يعطيني وقتا للمناقشة أو التعليق ••

•• هل تعرف نظرية الجلدة الفاسدة ؟ انها نظريتي •• أنا أقرأ كثيرا في الأدب وفي

خذ أيضا مسألة المياه النقية .. ما رأيك
في أن القليلين هم الذين يستخدمونها حتى
اليوم مع أنها من طلمبات بجوار بيوت القرية
باشرة ؟ أما الأكثرية فما تزال تفضل ملـ

في أول الامر أمانا طبيب في حوالى الاربعين
قال عنه أهل قريتنا أنه لابد وأن يكون في
الاصل مرضا ثم دخل كلية الطب على كبر ..
سكن المركز ، مشغول بأسرته هناك . يبيت
ساعة واحدة في الصباح .. ليته كان يأتي
كل يوم هذه الساعة ، يومان فقط او ثلاثة
أسبوعيا . ليته كان يأتي هذه الساعة بانتظام
في الأيام التي يشرفنا فيها بزيارته .. مرة
في العاشرة وأخرى في الحادية عشرة وأحيانا
في الثانية بعد الظهر ، تصور .. على الرضى
أن ينتظروا وهم وحظهم ، المفروض أن يكون
هناك طبيبان في الوحدة ، لكن يبدو أنه



HIVE

.. في صغير محسوس للمهنة ، قرر أن يقيم في الوحدة رغم الخطأ الكهربياء معظم الأيام ، .. عمر حرد الموصى على لم يالعه ، لا يعاردها لا طهر الحميس ليعود صباح السبت . كان مالبس - أو هكذا كان على الأقل في نظري - حتى انه كان يرفض أن يقبل قرشا واحدا ، ولو استدعى للكشف على حالات في بيوت القرية . كان منتظا في عمله لثمة ساعة للمرضى من السيدات والأطفال وأخرى للرجال وثالثة لحقن المرضى بالبهارسيا بالطرطير وهكذا .. قساعاته في النهار الواحد صورة مصفرة لأقسام المستشفى الكبير بالمركز .. لكن طبقا لنظرية العبد لله ، نظرية الملة الفاسدة ياسيني ، بدأ الناس يهيمسون أولا ثم تحول الهمس الى أصوات مرتفعة : إن الطبيب لا يبيت في الوحدة حيا في عيون الأهالي ، بل حيا في عيون الحكمة ، وهذا مما تاباه عليهم رجولتهم ، وكرامتهم وشهامتهم .. اسمها عابدة ، كانت حلوة حقا ، أهلا للمحب

لا يمكن إلا اقناع طبيب واحد في وقت واحد بالعمل في قريتنا . المهم شمسكاه الأهالي على رؤسائه دون جدوى ، حتى كانت الليلة لغمت فيها حشرة مجهولة يقال انها « الدفانة » هل تعرفها ؟ لا ليست عقربا ولا ثعبانا ، أنا لم أرها إنما وصفوها أمامي فإذا هي أشبه بالسحلية . يقال انها إذا أحسست بالخطر دفنت نفسها في الأرض فلا يظهر لها أثر .. المهم أنها لدغت ابن الشيخ عبد الحفيظ ، شيخ من شيوخ قريتنا له مكانته ونفوذه ، فأسرع به أبوه الى الوحدة حيث قامت الحكمة الموجودة بأسعافه وحقنه حقنة مضادة لسم العقرب ، غير أن الشاب فاضت روحه بعد ساعات فبيل الفجر ، وقيل لو كان الطبيب موجودا فربما تم انقاذ الشاب ، وقد لا يكون هذا صحيحا والله أعلم . المهم أن ضجة الأهالي وصلت هذه المرة الى آذان المسؤولين فتنقلوا الطبيب ، الى أين ؟ الى قرية أخرى ، وربما الى ترقية ..

جاءنا طبيب آخر ، بخلاف سلفه تماما .



قريتنا : الشباب المحروم من المرأة ، والأزواج المحرومين - أمثالي - من غير زوجاتهم ، ها عا ها .. هي .. هي .. هي .. اللهم انهالت الشكاوى مرة أخرى على المستوفين في المركز والمحافظة - والنتيجة نعل الحكمة ونعل الطبيب لتحرم القرية شهرا من أى علاج صحي حتى يتم تعيين طبيب آخر وحكيمة جديدة ، أنت تعرف أحيانا ما تبطى الأمور ..

هذه عجلات القطار مهدت حماسة الرجل كأنما لتلنل النسبة محفوظة بينهما .. وكان العرق قد أخذ يفسح على جبينه ، أدرك انسا اشرفنا على محطة سيقطع حديثه فيها ذهاب الناس ومجيئهم ، وصيحات الباعة والمودعين والمسافرين ، فآثر أن يتوقف عن الحديث حتى توقفت عجلات القطار تماما . وأطل بعض الجالسين من نافذة القطار يشترتون طعاما أو شرابا فحجبوا ما بيننا . كانت نظرتي الآن الى زميل رحلتى قد تغيرت . لم أعد أحس انه يلقي على محاضرة بقدر ما أحسب أنه مربي لي قصصا ، ربما على طريقة ألف ليلة وليلة ، قصة وراء أخرى ، كأنما لديه بعض أسرار . فبدأت أسمع حكايات غريبة عن بعض الأعضاء الذين جردوا عن ملابسهم وانخفضت أصواتهم ليرتفع دوي العجلات من جديد ، بينما أصبح الطالب المحاور الآن أكثر انتساها .

... فمنذ حوالي عام وفد علينا الدكتور شبيطة ، ليس هذا هو اسمه . اظن انه اسم إبيه أو أسرته ، اسمه هو فؤاد . لكننا بفضل من تلقاه بالدكتور شبيطة ، اسم نسمعه مره فلا تنساه ، لم يهمل قريتنا ناول طبيب جاءها ولا هو تعافى في خدمتها لما فعل سمعه . سكن المركز ليقتل ليلة غلاهي ما قبل الزواج ، ابن عمنا لعب معه وشرب أكثر من مرة في أندية المركز الخاصة . في كل صباح يعبر النيل الى قريتنا حيث يقضى فيها ساعات العمل ليعبر النيل مرة أخرى عائدا الى المركز . في هذه الساعات التى يقضيها في قريتنا كأنما آلى على نفسه أن ينتقم لزميليه المطرودين ، لا لحسابها ، بل لحسابه ، ذلك أنه أحال

الوحدة الحكومية الى عيادة خاصة له • الكشف
بثلاثين قرشا ، وفي المنازل بعينه كامل •
الأدوية المجانية تباع • كل تحليل له تسعيرته
العمليات الجراحية بالقساولة ، السرير في
المستشفى بنصف جنيته في اليوم • وكان
يساعد المصل ومعاون الصحة والكاتب وأمين
المخزن والممرضة أيضا تصيب من الغنائم :
الغبار يشن والحقنة في العضل لها ثمن وفي
الوريد لها ثمن • تقول كيف رخصت قريتنا
بذلك ؟ أقول بل إن القرية هي التي طلبت
ذلك • بل أجبرت طبيبها عليه • تصور • •
نظرية الجلدة الفاسدة التي لا تخيب أبدا
يا سيدي •

عندما وفد الدكتور شنيطة ، كان يقبل عليه مرضانا فيكشف عليهم مجاناً ، ثم اتضح أنه لا يصف لهم - او لاكثرهم - أية أدوية ، فاذا سئل عن سبب ذلك ، اجاب بأن الدواء غير موجود بصيدلية المستشفى ، اذن فليصبر بادكور الدواء المطلوب .

عنه من صيدلية اخرى ، لكن سببها لم يفهم .

انها اذن لم تنفذ الوعد الذي اعلنته ؟

فقال ؟ وهكذا أصبح لا جدوى من التكتشف والدكتور شنيطة . فلما استدعي مرة للكشف على زوجة ميهوب عبد الباسط في البيت اعلن أن هذا ايضاً خارج عن نطاق عمله في المستشفى وعلى المريض ان ياتيه الى مكان عمله تصور .. واما كانت زوجة ميهوب يهددها بزييف خطير فقد استعطفه ارجل وقيل بده ،



ثم قبل قديمه ، واستعان عليه بوجهاء القرية :
شيوخها وفقهائها بل وعمدتها . وأخيرا اعين
محمود مساعد المصل أن الدكتور شنيطة قبل
أن يقوم بهذا الكشف الخارج عن حدود عمله في
مقابل جنيه واحد ، أما أنا فقد أدركت أهمية
الم أقل لك أنني درست علم النفس على
طريقتيه فيه ؟ فبعد هذه المقدمة وهذا
المنع كان هذا تقصلا ونازلا منه .. غير أن
الحاجة الثانية حدثت بعد توقيع الكشف ،
فقد وصف الدكتور شنيطة للبروفة أدوية غير
متوفرة في صيدلية مستشفانا ، ليس هو
الآن خارج حدود عمله ؟ المهم كانت هذه هي
البداية ، ثم أصبحت أمرا مألوفا ، حتى أن
بعض القادرين من أهل قريننا حين كانت حالة
مرضاهم تسمح بالذهاب إلى المستشفى قد
استعدوه للكشف على هؤلاء المرضى في منازلهم
ووقع الجنبه لحد أن يصف الدواء الملان ،
وأجروا تنبث القرية إلى أن ذلك سيكلفها
شيء ، فلماذا لا يتم الاتفاق مع الدكتور شنيطة
على أن يكون الكشف في المستشفى في مقابل
أقل مائة مادم المريض يريد وصف الدواء
في بيته ؟ ولما وافق أطباؤه بوجود بصيدياته
يستطيعون ذلك ، خطا مهيوحين تظنوع
بجرسي جينا إلى التي على الدكتور مباشرة . لأن
الرجل نازح في وجهه وانهم بقلة الأدب ، فرأي
غلاء الروم أن يوسطوا محمود مساعد المعمل
ورأت نساء القرية أن يوسطن الحكيمة
الممرضة كذلك . ومع أن أحدا لم يتفق مع
الدكتور شنيطة نفسه ، ومع أنه لم يتسلم
عليا واحدا في يده حتى هذه اللحظة
- فالأعقاب يتسلها محمود - إلا أن الاتفاق
تم بطريقة شبيهة تلقائية ، على فئات الأجور
المختلفة . وفي هذه الأثناء حدث تطور غير
ملحوظ .. الظلام ينتشر من حولنا على الحنون
وعلى تلال القطم وراء المقبول حتى لكأننا
مسافرون نحو الليل ، بينما هبت نسمة خفيفة
تلطف من حرارة الجو وتصح العرق عن وجه
محدثي ، وقد أثلجت بقاءه تبرق على بشرته
في ضوء الصاييح الكهربية الخافتة من سقف
القطار .. وشخص أحد المجالسين ارتفع حتى



ليعود من جديد .. وأهل القرية قد اكتشفوا شيئاً فشيئاً أن مساعد العمل على استعداد لا يوفر عليهم عشيقه عبور النيل لشراء هذه الادوية التي يصفها الطبيب ولا تقوهر حتى صيدلية مستشفىنا - ورحب الأهالي بذلك طبعاً ، وبدأ مرضانا يشتررون من محمود ما يصفه لهم الدكتور شنيطة من أدوية ، ثم اكتشفوا أن بعضها أدوية مما كانت تعطى لهم بالمجان من صيدلية المستشفى من قبل ، وقيل إن أدوية المستشفى نفدت وأن هذه أدوية مماثلة واختلط الأمر على الناس ، ولم يعودوا يهتمون بمحاكمة الطبيب أو مساعديه ، حتى أمر الفقراء بأن لا يذهب إلى الدكتور شنيطة إلا بالثلاثين قرشاً في جيبه ، فقد أصبح منطق أهل القرية أنهم « يكسرون عينسه » بهذه القروش . وقد أرسلنا - أنا وبعض من ثار على هذا الوضع - نشكوه إلى رؤسائه بالمحاضرة فقبلنا من أهل القرية بالاستنكا ..

غير أن هذا لم يستطع أن يخفى .. فحدثت منظرى بعد كنت وميد .. صدقتى . ولما غير المحصول .. بأقوالى ولم أعدل عن حرف .. البض وتناقض الشهود ، وبصحب سبعون باعتبارها كيدية .. آه .. نسيت أن أذكر أن الدكتور شنيطة كان حريصاً على معالجة وجهاء القوم وأسرهم - وعلى رأسهم عمدتنا - بلا مقابل . ومن يومها سارت الأمور على «يرام»

والآن استطيع أن أقص عليك قصصاً مدرستنا .. أغفر لى ثررتى ، لا أحب أن اضايقك ، لن أذكر إلا قصة أخيرة عنها وقعت فى العام الماضى ، ولا فكيف تقطع الوقت ، لعله هو الذى يقطعنا .. هـ هـ هـ هـ المهم أن فى تربتنا مدرسة ابتدائية تعطى هذا طبيعى ، وإن كان يقال أنه ربما بعد ثلاث سنوات أو أربع سيفتتح بها فصل اعدادى والله أعلم . المهم أن مدرستها ومدرساتها العشرة يسكنون المركز جميعاً .. تصور .. أما ناظرها فهو من إحدى قرى الغرب .. هيئة التدريس كلها إذن تعبر النيل صباحاً إلى تربتنا وتعود فتقادرها ظهراً ، الولد منصوب

رأس .. جيد من أهالى القرية ، بعض .. فى .. حتى عذبة .. مدرسو المدرسة ومدرساتها فى التوافد .. بعضهم يأتي وبعضهم لا يأتي ، وإن كان والحق يقال أن ناظرهم أقلهم تفهماً ، هكذا تسير المدرسة بالبركة .. أما جانب المعتشين فلا خطر منه ، فسيادة المعتش لا يستطيع أن يلد إلى تربتنا إلا بعد الإعلان عن مجيئه حتى تدبر له هيئة التدريس من يرسل له من الأهالي ركوبة على « البحر » بدلاً من أن يخوض رمال الشاطئ لمقرب أو ثلث الساعة ، أما المدرسات فلا مانع لمن يحضر منهن أن يتركن الأطفال يلعبون وأحياناً يتشاجرون إلى درجة التضارب ومن منشغلات بالثرثرة أو أشغال التريكو . بالاخصاص مدرستنا - على رأى المثل - مولد وصاحبه غائب . الجلدة الفاسدة مرة أخرى ياسيدى . لا غربة إذن أن ينفض أكثر الأطفال عن المدرسة ، فأهلهم وزراعاتهم أولى بهم . أما الحريص على تعليم طفله فيرسسله إلى المركز ليتعلم فى إحدى مدارس الابتدائية إذا كان له أخ فى المدرسة

تصلطحه زوجته من حين لآخر ما أمكن أن يشحن
من جديد ما يعمل الزمن على تفرغه بينهما .

اسمح لي بأن أهمس لك بسر ما باح به
صالح لأحد من قبل : في بداية زواجه كان
يمارس الحب يوميا إلا إذا حال بينه وبين ذلك
حائل ، كان يكون على سفر أو مريض أو نزعته
هي على الصوم . . . إلى آخر هذه الأسباب التي
لا بد تعرفها ، نعم نعم كل يوم ، تصور ! قوة
متدفقة عارمة رغاء يتباهى بها أمام زوجته
وتؤكد لها فحولته . فلما أتخذه الشيع ودب
فيه الوهن تقلصت رعبته . - لاسيما منذ بترت
ساقه . - فأصبح في حاجة إلى ما يفريه ويثير
شهيته ، وكان ذلك يحدث في ليلة الجمعة من
كل أسبوع حين يستحم فيحس بانتعاش غير
عادي كأنما عاد إليه شيا به من جديد ، وكانت

جاءه حمامها الأسبوعي
يكسب ن أوثقها الغاربة قد استعادت
سراها . . . شربها خلاص دث
المنس لحسن المتشرفي خفية وتلكؤ هنا وهناك
. . . لا يلعب ولا يلعب وهو يزحف
. . . مع البري يوما بعد يوم ، فإذا بجسدها
. . . بسر ما باح به . . . سر ما باح به . . .
تقلصت منها الزائلة بديدة دافضة توشف
أحاسيسه وتستش بها عواطفه ، أما الآن . . .
بينى وبينك الليلة الأولى لانعدنها ليلة أخرى ،
فيها لذة الاكتشاف ونشوة الحصول والذهشة
والمفاجأة وامتحان الحلم أمام الواقع ، وهو
ما لا يتكرر . - ولا يمكن أن يتكرر . - في أية ليلة
أخرى . - لهذا أنا أقهر زير النساء وأدرك
موقفه وإن لم أكنه ولن أكونه ، إنه يريد أن
يجعل كل لياليه ليلة أولى ، لا يريد أن يتزحزح
عن لحظة الاكتشاف والحصول ، إنه يسأم
التكرار ولا يطيق الألفة . . . المهم أظنك تعرف
الآن لماذا أدركت أنا من خلال هذه المرأة أنه
ليس هناك حق أو باطل منفصل عن شخصية
صاحبه ، بل هناك رأى يصدر عن شخصية
قوية فيكون هو الحق ، ورأى يصدر عن
شخصية ضعيفة فيكون هو الباطل . - بينى
وبينك زوجها صالح بجسدها من ذلك ويتبنى
لو كان مثلها ، وهذا - في رأيي - هو وضعه



ليست ضرورية لوجسوده . . . من . . .
وحاجات ضرورية وهو . . .
اشباعها معه في الوقت . . .
صالح إلى الكلام كانت من هذا النوع الثالث
لا تقل أنها ليست حاجة ضرورية ، ففسد
لا تكون كذلك بالنسبة لك أو لغيرك ، ولكن
ليس بالنسبة لصالح أبدا . - لهذا فإنه يجد
نفسه مدفوعا إلى تحطيم جدران الصمت التي
أقامتها زوجته بينهما ، فيتحايل على ذلك مرة
بعد أخرى مدركا من خلال قراءاته - وربما من
خلال تجاربه معها - أنها لا بد وأن تكون هي
الأخرى قد تعذبت بما وقعت عليه من عقاب ،
وأخيرا يحدث في إحدى الليالي دائما أن يجدا
لنفسيهما يتقاربان ويتماسكان ويتلاصقان
وقد جاع كل منهما إلى الكلام وغير الكلام ، وأن
خفت الشحنة الكهربائية الجنسية بينهما - طبعاً
بسبب تقدم العمر طبقاً لنظريتي ، وربما
بسبب مريضتهما معا وجهها لوجه يوما بعد يوم
- فاستحال ما بينهما إلى علاقة لا هي بالألفة
الخالصة ولا هي بالجنس المتقد ، بل هي عاطفة
بين بين . . . ومن يدرى فقلعه لولا الصوم الذي

معهم موضوعات المادة التالية . وفي اليوم التالي فعل ما فعله في اليوم السابق حتى اذا ما انتهى الامتحان استعاد اجاباتهم ليطمنن الى نتيجتهم ، فلما اُقل معهم عائدا الى القرية كان مطمئنا الى نتيجة تلاميذه منتبها لأهلهم بالنجاح جميعا . فلما أعلنت النتيجة صدق ما تنبأ به بل فاقت النتيجة تنبؤاته ، كان أحد الاطفال الستة اول منطقته التعليمية كلها ، بصور . . بذلك كانت مدرسة قريتنا أولى مدارس المنطقة : نتيجتها مائة في المائة وأحد طلبتها الأول على تلاميذ سطره كلها . ودعم صالح الى تلاميذه يهنئهم فيهنئونه ويقدمون له الشربات ، أما زوجته فلا تقع الا بما هو اكثر من الشربات .

وفي مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضي احتفلت المحافظة بعيدها السنوي ، قدمت فيه لجنة تعليمية جوائز لاهيات التدريس بدارسة المتوفرة وهي مقدمتها طبعا مدرستها على نظر المدرسة ومدرسو السنة السادسة لاحتفاءهم بها ، وحصل كل مدرس ومدرسة على شهادة تقديرها خمسة جنيهات ، أما الباطر فجمع شهادة تقديره .

وحاول صاحب ان يحضر الحفل فمعهرو بدعوى انه لا يعمل بطقه دعوة ، كان يريد استغلال المناسبة لمقابلة المسئولين بالمحافظة ويجدد محاوله تعيينه بالمدرسة ، اما هم فنخشوا ان يرل لسانه ويعضهم . . آه . . نسيت ان اخبركم يا سيدتي ان الاهالي كانوا قد قدموا شكواى - كعادتهم - في ناطر المدرسة ومدرسيها ، وكان المحققون قد سبق ان راوا حفظ هذه الشكاوى . أما الآن فعد تأكيد انها شكواى كيدية وربما وجب معاقبة مقدميها . كما بدأ التفكير في افتتاح فصل اعدادى ولولا قلة الاطفال لنفذ الاقتراح . ولقد ابنى ناطر المدرسة الا ان يعلق شهادة التقدير على الحائط خلفه في غرفة م . . كتبه . . به . . بال . . مد . . رسة .

تباعدت كلمات الرجل بعد ان كانت تتزاحم على شففيه تزاحم العرق على جبهته

الحفيفي . . بل هو يخشى - ولا يريد - ان يكون لعمده المستمر لتصرفات زوجته أثره عليها فتصبح مثله ، والا فكيف يهمل بحصيل اجره مالم تهتم هي بتحصيله له ، وكيف يصرف الى « ضرورات » حياته مالم ينصرف هي الى « ثقافتها » ؟ ولقد استوعب هذا جيدا من تجربة سابقة له ، فصالح يعلم ان القلق من طبيعته ، ولعل اكبر قلقه ان الدنيا ستهد اذا لم يسر كل شيء فيها بنظام ودقة ، ييسها الهدوء - بل البرود - من طبيعته زوجته ، افقد انه كان من طبيعتها . فكان كلما انتابتها الاوهام سخرت منه ، ولا أقول طمأنته . وكان هذا مما يثيره بالاصابة الى ما يقلقه ، فيتهمها بأنها لا تشاركه صومه ، بل تضطره أحيانا الى محاولة اخفاء وساوسه عنها . ثم ثبتت ان وسوسته لم تكن الا وهما أكل في أعصابه وار طمأنينتها تقوم على احساس أكثر واقعية . وهكذا تعود كلما اجتاحه بوبة قلق انه في عيني زوجته فاذا تلمس . .

الاكثرات أدرك ان وساوسه ليست الا
نوتر نفسى ولا علاقة لها بالواقع
يلاحظ أخيرا - وبمزيد من الألم - ان حواره قلقة أخذت تتسرب شيئا بشيئا الى زوجته حتى أصبح يقلقها ما يقلقه ، مما جعله يعهد - بل يفقدان معا - قدرة التمييز بين الوهم والواقع ، من يومها أدرك انه لا يمكن أن يستمر اسلوب حياته مالم تستمر هي أيضا في اسلوب حياتها ، ولئن كان في لحظات نوره عليها يقتنى موتها أو موته ، فانه من ساعات صفائه يزججه هذا الحائط أيضا ازعاج ، همها كاني زوجين ناجحين - ولا أقول مسعدين - كمررتي الحذاء يختلفان ويتكاملان . لا تؤاخذني في هذا التشبيه ، هل ترائى استطردت كعادتي . . المهم انه قبل الامتحان بيوم شوهد صالح وهو يصطحب الاطفال الستة ويعبر بهم النيسل الى المركز حيث أشرف على تدبير مكان يبيتون فيه خلال يومى الامتحان ، واستعاد معهم ليبتها مواد اليوم التالي حتى تناب الاطفال فتناوب معهم . وفي الصباح صحبهم الى لجنة الامتحان يطمننهم ويبت الثقة في نفوسهم ، وبين كل مادة وأخرى يراجع

يجعل النظرية تطبق في حالتى انتشار
الجلدة العائدة والجلدة الجيدة أيضا . لاحظ
أننى أدقق في اختيار عناوين نظرياتى .

مدخل الطالب المجاور لأول وآخر مرة في
الحديث قائلا : لعل المسألة مسألة زمن ،
لايد من الوقت ليفتح الناس حتى يصا في
صالحهم ، لايد من الوقت حتى تظهر النتيجة .
شرد فكر الرجل وعو يعيد في شبه آليّة

وعلى شعيرات شمّاريه ، ثم انخفضت حتى
تلاشت . عجلت انظار هدات من جديد
كانما توشك أن تقف على محطة ، وبصارها
اتجهت من خلال انافذة لتدرك أنه ليس
محطة مقبلة . يبدو أنه عطل في الطريق ،
وأن هناك من يصبح العطل ، كانت هناك
أضواء كهربائية قوية جدا من خلالها العمال وقد
وقفوا في شبه صف منتظم تملأ أصواتهم من
حين لآخر بفناء غير واضح ليهجوا بمطربهم
على قصبان الحديد . حتى عبرنا منطقة المعن
ليستأنف القطار سرعته ويستأنف الرجل
حديثه .

- الفيحيّة يا ابنى الا يكون التعليم
يس مجرد ملقين معلومات ، الطفل
يعلم من تصرفات أستاذه أكثر مما يتعلم من
أقواله . هذا الكلام لا بد أننا نعرفه من قبل
جميعا . ودا كتاب الجلدة العائدة في المدرسة
التي أروى الأجيال التالية ، بل مساوت
على أسوأ ، رس يصبح الزمن يا ابنى
شديدا . سمرس كما اعرض من قبلنا
قبلنا يوم عاد ونمود .

- لا تصدق أنه يمكن أن تكون الجلدة جيدة
في معمل لأبحاث الفضاء ، فأسدة في معز
للكانس والجرادل . فلكى يصل عليها دونه
الى القمر أو الى الزهرة أو المريخ لايد أن يكون
هناك موطون قابعون في أحد النوازل على
هذا صفة .
- عن اعمال أو سرقة - مكسه
بهؤلاء أثرة أولئك وآآآ

التي تسمى
- هل هذه أيضا إحدى نظرياتك :
نفسه من غلبت بها أبناء طفولتى لم تكن
تعرف التهاون ، اندرمون لايتهارتون مع
انفسهم ولا مع طلبتهم .

التي تسمى
- ولم لا ، فلتنق على تسميتها ، النظرية
الخلية ، أى أن السرة كل لا يتجزأ ، لايعن
أن تختل إدارة دون أن يعنى ذلك اختساع
بقية الإدارات . أو ما وأك في أن تطلق عليها
اسم « النظرية الوينية » ، فأخل هنا لألو
سريع البدوى سريع الانتشار ، فضلا عن أن
هذا الاسم يحمل صفة الشر الذي يدل عليه
بيتنا تسميتها « النظرية الكمية » لاحت
الا صفة مخادعة .

ثم كف عن الكلام - من تلقا نفسه لأول
مرة - وبدا أنه يفكر بأحسا عن شيء ، حتى ادا
ما وجدته صالح فجاه :

- لكن لا ، الاسم الاول اعصل لان حياده



قاطعتها صاحكا :

— وسعل السبيب ايهم لا يحزنون سميت
نظريت في بحر اطلق ، هناك دائما طرف
يحاول ان يستفيد على حساب اعراف البحر
لا يدري انه يدمر نفسه من خلال تدمير
الآخرين .

بهزل وجه الرجل قائلا :

— لعلك ادركت الان ضرورة الخدمة العامة
يا سيدتي ، ايهم .

اطاعت مصاييح عريسا . . . هل نسمعي ؟
نعني الناس يكون افضل اصدقاء اذا جعلت
حواسه الاخرى وركزت انتباهه في اذنيه . .
انا لا اسمع جيدا ان لم ار محدثي ! . . . حتى
الراديو لا اسمعه جيدا ان لم اره امامي .
السمع عندي مرتبط :
على مشاوير العاهرة .

نداب تعلى عنها في عذبة
يعجزني بقوله :

« عدة ، واحشوف هنا من نوع آخر
برسم اكن اقيم معنى قوامهم
محتشون حتى الهمتي زوجتي
البحرانية وضعفها . »

« الحيلة من اعماق قلبه . »

وعندما بدأت آنقص عنى عبار السعير ،
واعد حقائبي تاهبا لمفادرة القطار في محطة
الجيرة ، قال صالح صاحكا : لم احذئك بعد
عن المشرف الاجتماعي والمشرف الزراعي .

اجبته صاحكا وري : عندما نتقابل في
دس مرة اخرى . . .

فلما أصبحت عن ارحيف ودعته من
الساعة فودعي بعينيه المدهوشتين ، حتى
اذا ما احتض اعطار تماما ، كان دوى العجلات
ما يزال يصن في اذني : تصور . . ايهم ،
تصور . . ايهم ، ايهم . . تصور . . حتى
بلاشي في شجرة المدينة وزحامها .

(ديسمبر ١٩٦٦ — ديسمبر ١٩٦٧)

— انا
العاهرة لتعيني بالمدرس

من عشر سنوات ، لم يده يزور . .
جارتنا ، معي خطاب منه ، خطاب عادي فيه
تحية وسلام ، قلت اوصله باليصد بدلا من
ارساله بالبريد ، ليس خطاب بوصية ، لا لا
انه لاشك يذكرني ، التلميذ يذكر اسمه . .
دائما ، أما الاسناد . .

عاد النور الى العربية ، وعندما لمحتي انفوس
في قديمه كانا لاعرف اين ساقه الصناعية
علق . .

— قبلها لم اكن اخشى شيئا ، اما منذ يثر
هذه ، فقد بت اخاف شيئين : البحر والنساء .

سألته داعيا لايده ما اصابني من دعثه
ووجوم : لم تكن تحشي كل انتساء ؟ ايهم
ما ارمى اليه فقال : تصمد زوجتي ، عنه



آخر السلسلة

بقلم: إدوار الخراط

رسوم : جميل شفيق



من ... ، مثبتة على بياض الحيطان، مصباح
مربى من شجرة مدلى من السقف يسلك
جميع ... قطع باستسلام ، دواليب هائلة متقلة
بأشغال ...

... حسنة لمحي الى الامام تزايد
قوة والتفاهة بالهدار الطريق الى سلالمة المحطة،
وكاننا استراح من مضيقه باقتراب أنوار
كوخ المحطة الخشبي، يحيط به اقريزه المشبك
على نسق أرابيسك مبسط ، يشع النور من
خروجه الهندسية . وهو يراه من فوق ،
والقرميد الطوبى اللون يلعب من البلى وتتملق
بأطرافه دانتلا أخرى ثقيلة من قطرات ماء
تنشيت بحافته لا تريد السقوط ، ينادى واهن
ولكن لا ينهزم .

وهو ينحدر على السلالم العريضة ، المغطاة
بالرمل ، الى رصيف المحطة ، اخيرا ، والتهوية
القريبة على الرصيف مغلقة الزجاج ، دافئة
من الداخل ، كثيفة ببخار الانفاس والدخان .
وخطوط الترام تمتد سوداء ، متألقة بقوة
خاصة فيها ، بطاقة كائنة نائمة ولكن متحفزة،
تنتظر العجلات المدوية المرقعة لتنتقل منها

حس الرمل تحت قدميه ، حتى ، طرى ،
به بلل من المطر الذى ظل يسح هيبا طوال
بعد الظهر . والى جانبيه يرتفع سد من لأحجر
البيضاء الضخمة ... رواديب مهنه
السطح من ورائها تنعني بها ...
ودطراب مبنه من الم ...
المتكاثف المشبع بالرطوبة للأعلى الخليل ،
رمل الطريق الضيقة ، لها وزن أصم يتبدد
بصمت ، فى كتمة المساء ، لا يخفف منه هواء
البحر الذى يكتسح البيوت فى هبات مفاجئة ،
به طعم الملح . وهو يرفع ياقة معطفه الجبردين
على مؤخرة عنقه ، يحس تحت شعره دسامة
العرق القديم وندى البلولة الجديد ، يحتمى من
هجمة الهواء ، وسقطات القطرات المشبعة من
على الأوراق المعتمة المخررة .

والطريق تنحدر بسرعة . وتنفجر خبطة
مصراع نافذة على حائط ، فى السكون ،
بقرعة . فيرفع عينيه الى أنوار خافتة تتخايل
وراء الزجاج المغبش فى النوافذ الصغيرة العالية
وتكتشف عن متاع الحياة اليومية الرث فى
الغرف المكسوة الموحشة بمقدم الليل : دابر
السريز الدانتلا الأبيض الكاكي ، على فضيان
جديديه سوداء رقيقة موجة ، صور باهتة

وهي تعرف أنه يعيش وحده مع أمه وأخوته ،
بل تعرف أيضا بيتهم من بعيد . لكنها تمسك
أيضا بيدها كل الحيوط . ولا شك أنها عرفت
قصة زواجه وخلافه وانفصاله ، وهي على
التليفون تستطيع إذا أرادت أن تسمعه يطلب
المحامي ويناقسه ، ويتفق مع الوكيل على
المواعيد والاجراءات ، وتستطيع أن تستخلص
لنفسها الحكاية كلها . ومرة واحدة سمعتها
مباشرة عندما طلبته من الخارج - على أنه قد
حذرهما الاتصال به على أي نحو - وصوتها
الأنثوي الحشن المتيف - وعاكسته يومها ،
في معاتبة تبدو بريئة كل البراة ، لكنه لا
يعرف أن كانت محملة بالتضمينات والتلميحات ،
حولت اليه الخط ، وبعبء أن أنهى مكالمته
الصاخبة :

- الله الله يا سي شوقي ، مكالمات خصوصية
في الشغل ؟

هل استرقت السمع يومها . من من
من وراء الحاجز الزجاجي ؟ كانت الميمنة
مردحة بأصحاب السائقين ، مقاعدهم
مقاعدهم العتيقة المشبعة بالجلود ،
المعتم الترتب المرتفع ، الكماله خرج ومد ورقة ممللا
الترجي ليعطيها له ، كأنها هي .
بنوع خاص . وكان الدكتور في العمل أمام
أنابيبه المسكرة ومواقده التي تنثر بنسار
محددة كاشفة ، وقواريره المليئة
بالسوائل الكثيفة والصفافية . ونظرت اليه
من وراء الزجاج ، وهي ترد على التليفون ،
نظرة غائبة ، ورفعت الخط وأوصلت الفضة
بحركتها التليديدة الكب- السريعة . حركته
سب يعرف شعنها وحبيبه وتعبه معانيه عامه
ولو كانت ممضية اعين . يست صا .
وبكن هذه المظهر العبد وور الصنيع
بعكس من الساعده الحاسية على العيس
الصفافيتين ، الخاويتين ، في هذا الاتساع
الاصفر الموحش الذي لايطرف . هل سمعت
التوسلات ، والتهديدات ، والدموع ،
والاستنجا بالذكريات ، وابتهاعات حسان
ضائع ، والتعلات ، وبكاء ندم لايعرف ولن

أو لا تريد أن ننخلق ، لا تريد أن ننخلق
لنفسها صوبا يعطيها القلب والنهائية
فيستطيع أن يواجهها ، أن يتعامل معها ،
يمسك بها .. ولكن أذه الكلفة هناك ؟ أم
هي وهم في ظنه وحده .

وفي سؤالي نبرة حنو لا يمكن أن يكون
متوحها ، جرس طيب أموى يبره وينحى عليه
مهما كان فيه من دعاة ومعاينة - واصطدمت
بدها إلى جانيه بيده - بعوية ؟ صدقة ؟
لا يعرف - لا يعرف - لكنه يحس هذه اللبسة
التي طالت قليلا - لحظة واحدة أكثر مما قد
يكون عاديا وتلقائيا وعفويا - لمسة يدها بيده
من على «الجيب» الصوف الثقيل الورد ، من على
الاستدارة اللينة - هل فيها ضفطة خفيفة
مضودة مرت كاللمحة ، واختفت ؟ أم ليس
... ما معنى هذه الاصطدامات العذبة
... نكرر ؟ هذه اللمسات التي تجيء

دتها - كأنها عن غير قصد .. ؟ من
الأصابع الرقيقة المرحفة العظم ، في زحمة
النهار ، والعمل ، والواصلات - مرة عندما
... كأنه يهيبها شيئا حينما
... وعند صعود السلام ،
... على تينة البطن الطرية ،
... على مشارف عالم ملء
بوعود نشوة مصفاة ، وحس البهد الطمع على
ذراعه عند المرور في طريقة ضيقة ، لمسة
لا تكاد تحس لكنها خصيبة ، وثيرة - عابرة
ولكن كأنها لا تحدث في الرمن ، ونظرة معها
فيها دهشة وسؤال ورشى وعمق لا يسبر
غوره .. ما الكلمة التي لا تريد أن تنطلق ؟
ما الرسالة التي لا ينفك رمزها ؟ هناك كلمة
ورسالة ؟ نعم ، نعم ، كلمة مركبة ، ومعقدة -
أين العمل الذي يحلها فيه ، وأنبوبة الاختيار
الديقة المستطيلة التي تستدير ببطء على
لهب « بنسون » يلحق زحاجها ويرسب
أملاحها ومعادنها من تحت المياه الصافية
لخادعة ؟

والترام يمضي في عشوة الليل الزاحف ،
... بقوته الخاصة
... معصا على نفسه يشق طريقه على

يستطيع أبدا أن يعرف أن كان حقيقيا أم
من نجلنا من وحى اللحظة - فهو حار وموجع
ولكنه أيضا قلب وخل ، هذا يعرفه .. وعليه
أن يسد قلبه أمامه ، والا فلا نجاة - والجأه
في النهاية أن يقفل السكة ، يعنف ، واحتدام
مكتوم - فهل سمعت الحكاية كلها ؟ حكاية
توجع القلب - ولكنه سيخلص منها قريبا -
وأحس آفة الكمد بعد أن أملت منه - لا بأس ،
الحكمة سوف تعد لها السفحة ، وينتهي ،
ينتهي - وقد أعطاها كل شيء ، أأناها شيء
اشترها هو بسهر الليالي وألم الكتفين وانكسار
الطهر وزين العيين من الدق على الآلة حتى
الصبح ، شهرا بعد شهر ، بلا نهاية - وورقة
الطمد ، على نفسه حتى تأمن على نفسها ،
وصورها أيضا وخطاباتها الررق الساذجة من
أيام الغزل الأولى القديمة الفائرة في القدم ،
كل شيء ، فساتينها وملابسها وقمصان نومها :
قشور النايلون الملونة التي طالت أمانها عن
ثمرات دب إليها العطب فلم يعد فيها إلا
مهمل نصبت عنه سلامة المحبة والتواصل :
كل شيء أخذته معها - خنت ممسا حذاة
ضخمة مزعتها أيضا من
أجزاء عمره - اقتدمل في
في لحمه ويرم الجرح الذي يهز ويهز ، يحجب
أبدا قطر المرأة والصديد والدم المتحدر
نالعراك والمساخات ؟ وما الجدوى الآن ؟
سممت أيامه ، وطينت بالوجل عيشته ، نعم ،
وعليه الآن أن ينظر يدفع الثمن ، ثمن شهوته
وشفقته ، وجنونه وتمرده ، ومتعته المعونة
بالجسد الملوث الوثير - وقد دفع ، دفع ، فهل
يخلص أبدا ؟

- أيه ده كله ؟ إلى واخذ عقلك يتنهى به ..
وصلت لحد فين ؟

لن يعرف أبدا ماذا تقصد بهذه الكلمات ،
وما يشبهها ، دائما تنكسه ، وتخزه ، يلهجتها
التي تبدو مجردة مستقيمة عارية من كل كثافة
ولكنها تحمل ثقلا - لن يعرف أبدا ما رسالة
هذه العبارات ، هذه الضمة للشفتين الرقيقتين
الرقيعتين تغلفهما على كلمة لم تتخلق بعد ،

القصيدان الحديدية الفايدة ، مشحونا بطاعة
عنيدة عمياء ، يخترق السواد المجهول المالك .
والانوار من نوامد الجانية تجري معه ترتفع
وتنخفض ونستدير ، تلاحقه وتنتصب فجأة
على جدران الرمل المنصلب القائم على احاسين
في اكبات قريبة مهددة ، مشفقة بخدود اوعية
منترجة خطتها مياه الامطار وسعفات الريح
عبر ازمان سحيقة ، وتنبثق من الرمال ،
بحبورها وكرانها وحطوطها ، حرشات صغيرة
خضراء خشنة سطع في استور بلون وحشي
وتختفي باورقها الكتنة الداكنة ونهار سدود
الرمل وتتراح من على السكة ليسبح الليل
عن براح مفتوح معتم ، البحر بصورة الفاص
على مقربة ، انفاسه الرطبة يملوحها الملوله
نهب على صهاريج البترول : ضخمة ، مستديرة
يدع بالتي معدني باحت البياض ، جالقة تحت
سماء قاتمة ، آنداء هائلة واسعة على صلوع
الارض . كاملة الاستدارة .

العصارة المعدنية اسود
ليتها الحريف الرقراق في الشرا
الطاقة والقوة العمياء يطبق
صغير محبوس تحدد
ارسوم على مسارب
والانطلاق . كل في حدود
ساطعة حمراء وصفراء وحمراء ، شفق جسد
الليل بالف جرح محسوب ، متفجرة كلها
بالصراخ في ظلمة المدينة ، شرارات تشوهج
وتتطفئ ، تتناثر منبتقة من مسام الجسد .
ومياه ذهنه ثقيلة برواسب مرة الطعم ، ملحية
يمسحها اللسان . لماذا الترام يختط هذا
الطريق ؟ أهذه شوتس . المكس . . العاصفة
العاصرية . . أم القبارى ؟ هذه بلدته ،
هذه الاسكندرية ، وخطوطها مرسومة على
قلبه . . لكنه الآن لا يعرف أين هو منها . .
ورائحة المدايق الثقيلة الهاجة سطع ، ناعية
سعد اليه من سناك مفتوح ، جفاف صحراوي
محمر نعب ، سن لا يطاق . سحابات ليلية
تهب به من غاية افراقات الحياة ، المجلود
المشبوحة العفنة تنسلخ من حياة الى حياة ،
عبر محنة الموت والمجزرة ، وخيانة الذفر ،
مزقا دقيقة مأكرة الصنعة متممة لمساء تحيط



بالأفء الصعير النضرة ، وتودع فيها
السرار صغيرة الأثيرة ، ومفاتيح العلاقات
رموز المخططة الصامتة
تألف من الحياة المتفجرة الحشنة القديمة
عند حد مري مصفوفة ملقوفة حول حيوات
في مكتومه تجري في مساراتها .

أنا لا حاجة . . كتب
كده تعرفي امبارح ما تمش
في الشاعرة الزائلة الصبيح .

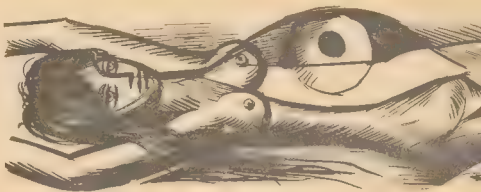
يا خير . . ليه ؟ خير ؟ كنت عيان
والا ايه ؟

تم استدركت . ولعت عينها بنورها
الاصفر :

والا العيار تقل عليك ؟ كنت في سهرة
لارم . .

في لوم واتهام .

واحتدمت ثورة صغيرة محيطية في داخله .
وحلف لها ، وصلى هو نفسه حلقائه . ومن
الفسم والتصديق مرور غاشضية تعكر نفل
صفو ما ، صفو رازح الركود لكنه مستقر .
وحدث في غرقى كتابا قديما بلا غلاف ، من
مهملات البيت ، في ركن الدواب . كله
حكايات غريبة ، تلك التي يسمونها خرافات ،
حروب قديمة من أيام الرومان أو اليونان أو



الى الأرض ، يحفى وراه جسدك كله ، حتى
ذراعيك يحيط بهما كم لصيق ، حتى الرسغين ،
كان صوت صدق الليساء ، نهضت
سبحان الله ، رستمت تحت الأرض ،
في سلبية ، في الدور الأرضي من
منصبته في مجرى ما ،
له في نهضت ماء المطر على جوانب
الشارع هنا يجري في الدور
في الحيطان ، في الليل ،
رستمت الى وحك يانعات ،
في العتمة ، شرقاً ، أبيض ، وقيلتك ، شفتك
العلوية الرقيقة افتمت تحت فمي ، والشعة
الحية المكتنزة ، داكنة الحمرة ، في ضمة
رياسة ناعمة المس ، ويدي حول عنقك
البانعة ، المدورة تحت الشعر الهش اللين ،
زهرة رائحة متبقة من الأرض ، وأما أمس
الريح ، شعة مكهربة ، كل الرقة ، وكل
الحية ، كل الغراء ، ونيفقت ، ارتجفت ..
وفي قلبي رفة فسيحة من رضى شامل ، مرتاح
ما ان اسيقظت حتى أخذ يتحف من أطرافها
خلق متوفز ، لاسع الاسنان ، كائني اجترحت
اثما ما ، لا أفهمه ، نعم ، هذا هو الحلم ، لكن
قلبي دباب وداراه وتحوط عليه ، كأنه لقياس
بطمح فيها كل قلب ، ماذا بقي منه الآن ؟
خيط واه رفيع يتموج في قلب مياه ضحلة ،
لا لون فيها ولا كثافة ، لكني بالأمس ، لا ،

مثل هؤلاء الناس ، من أيام الاسكندر
والفرس ، واسماء أخرى لا أذكرها الآن ..
عن عاشق ينظر في الماء ، وسجسول الى
برجس ، من بس صبيح سحره
ما كنت دائماً ، لكني لم
أكن أحلم ، ولكن لم أكن استطيع حراكاً ،
مريض العزم ، متجمداً ، حالة خلة ..
لم أكن قد شربت شيئاً ، ولم أكن
كانت هنالك واحدة ، كالتي في الهواء ،
التي كما سمعها ونحن ضلال ، نضرت
الباس ، والحيوانات ، فصصيح كنها ، من
بطرتها ، حجراً .. والأشجار ..
حدا حده من مسرعة ، يستصيح
حراكاً - والعرق يتعصد مني ، يتعصد مني ،
حتى النفس ما عدت أحس به ، ولكنني كنت
مفجع العينين ، وكان في الغرفة نور ، لم أكن
أحلم ، لسكني لم أكن أتحرك ، ولا أريد أن
أتحرك .. ياه .. لم يكن الليسل يريد أن
يسجاب .. أبداً - يا شيخ ، لأبد أنك كنت
سحلم - أبداً ، أنا متأكد .. هل كنت أحلم ؟
أبداً .. هل هناك ما يحول بيني وبين الحلم ؟
الشيء الوحيد الذي لا رغبة لأحد عليه ، لا أحد
سحلم فيه ، لا شأن لأحد به - كنت أمت
يا نعمات ليلتها أمامي ، راكعة على الأرض ،
بنسدل عليك قميص نوم أبيض ناعم النسيج ،
قميص سابغ ينزل من على كتفيك بأفصاح ،

لم أكن أحلم والله ، أبدا ، كنت مفتوح العيين .
 في الصباح وجدت نور القرفة مضاء .. الله ..
 أما كلام فارغ صريح . أنا عارف ما هذه
 الكتب ؟ بلا غلاف ، ولا عنوان حتى . ولكنها
 مؤثرة ، تدير الرأس ، كتب الناس القدامى
 هذه . لا بد أنه كان من كتب أبي . الله برحمه
 .. أمنا القولة ، نظرتها تحول الناس الى
 حجر . . .

وضحك . كانت عيناه جامدتين ، لا ضحك
 فيها .

— أيه .. وصلت لحد قين ؟

التفت اليها . وصلنا . وضحك ، بسهولة
 فيها توتر خفيف ، هي تبتسم ، عن أسنان
 غير مستوية فيها شنت مجيب منزعج ، عن
 رصايب لامع — لحد لعذوبته ، يعرف سكره
 ابتسامة حلوة وغامضة وجداية . وكأب
 غيباه ضحكك .

قد برحمت . ومن . . .

بأعمدة الرومانية الجارية
 ومذنة جامع القائد إبراهيم .
 التخييل الهندى فى الحديقة والحدائق
 يتحرف بسرعة فى تزيين حطم (الطعم) هائل
 ادعائه به بازاا جسمها ، لكن يستقر عليه

لحظة ، فى تماس حميم صلب . ثم انطلق نحو

وقفته الأخيرة فى الضوء والحركة وزحمة أول

الليل . واضطراب الناس يهجون القوقعة

الدفيئة المصينة بنور لذن متصب بسمولة من

مصاييح مستديرة حادة ، كاللبن الدسم ، على الجلد

البنى الطبع الشى القشامة . وفى احتكاك

الاقدام البطيء فى طريقة الخروج الضيقة ،

والناس يدفعونه من الخلف ، مد يده يسند

ظهرها أمامه . وأصابعه تستقر لحظة على

صفحة الكتف العريضة ، تلقى مقاومة العظام

الرقيقة المفلدة بالليونة الناعمة، ويحس تحنها

بالشريط المشدود على الظهر من وراء الصوف

المنسدل المجهوك ، ويعبر مجد المساء الاحمر

فى انفساح السماء على الميناء الشرقية ، وقد

عق الشفق وازداد كثافة وخصبا ، والسحب



انكاس النور من خلفها ، خيوط نباتية كثة
دمثة - وتضع يدها لحظة في يده ، وتضعها على
أصابعه ، رخوة ، دقيقة ، عصفور صغير ملموم
ناعم الريش ، وتشده بأهون حركة وارقتها الى
داخل الفسحة ، وتسبقه ، وصيحات الأولاد
يتقهرون متواترين الى المواقع الداخلية الحصينة
وهم يتصايحون : ماما أبيه شوقي الى يشتغل
مع أبلة نعمات - ماما عندنا صيوف - ماما
- ماما - يوم طيب يا ولاد أهلا وسهلا ،
وحركة القيام من على مراتب الكتبة المريحة من
أعوار المواقع الحفية لأداء واجب الترحيب في
سهولة وطيب قلب .

وأخذت طفوس استرحيب مجراها المعتاد ،
في عرفة الصالون اصبغ ، شهودها قطع
إذات العديم والصور الزاعقة الألوان والمجدات
السوداء المرسومة بالبحل والجمل من لبب ،
وتشمس بعد الظهر الحامية من وراء المسارة
كحظائر اسعوشه بأورد الملون ، وهو يتحدث
في الأم عن حكاية الشهادة التي تريد
سحرجها من البلدية ، ويأخذ منها أوراها
- - - - -
في عرفة الصالون اصبغ ، شهودها قطع
إذات العديم والصور الزاعقة الألوان والمجدات
السوداء المرسومة بالبحل والجمل من لبب ،
وتشمس بعد الظهر الحامية من وراء المسارة
كحظائر اسعوشه بأورد الملون ، وهو يتحدث
في الأم عن حكاية الشهادة التي تريد
سحرجها من البلدية ، ويأخذ منها أوراها
- - - - -
وأخبره فيما أحاز الله يا صباي ، نعمات والله
بنتشكر فيك حالي ياسي شوقي ، وتترك ذى
أحوا ، قالت لي عنك كثير ودايمًا بتجيب
سيرتك بالخبر يا بني ، ربنا يرعى عليكم
ياخويا ويسهلها لكم ويبعد عنكم ولاد الحرام ،
والدكتور ربنا يخليه راجل طيب وابن حلال ،
والثورة المجوز تسترسل وتطيب القلب ،
وهو يستريح إليها ، راصيا ، ولكنه لا يخطئ
فيها مع ذلك نعمة لعلها مقصوده ، لهجة الأم
التي ترحب بعريس محتمل ، وتستكشف
الطريق ، وتهدد الجو لعدل البنت التي في
سن الزواج ، في ثقة وتمكن ومن غير اصطناع
ودون اقتحام .

ونعمات تأتي له بالشئ على الصسنية
الزحاجية ، ويسطع له مرة أخرى وجودها في
مظهرها الجديد الحميم ، في غير ملابس العمل

المشتعلة أطرافها بنار لا لهب فيها ، والبنفسج
الداكن يتحيف أطراف النار المنهزمة - وهبة
من هواء شات يبلبل على العرق الخفيف على
وجهه ، وهما يسرعان ، ويلمان أطراف المطب
والجاكنة حول الرقبة والوجه ، ويتشاق مع
ذلك نسمة ملأ الصدر - وهو يسك يدراهما
يعرف مرة أخرى ملاسة استدارته المكشوفة
من نعت صوف ، التوينر الناعم ، عاريا تحت
الكم القصير للبلوفر ، وحركته حميمة محتفة
عن الأنظار ، يساعدها أثناء المرور من أمام
المسكوى الممدود الذراع تطاير الريح بالكاب
الأسود القصير على كتفيه .

وهما يدخلان فوقه رجايه اخرى ميره
بنور مرب مراق على حشبه متعق عيق .
والصعد ينز في طاقته الكهربائية المشدودة .

دأت هي التي فتحت له ايساب ، بعد ان
وقفت ورائه المصعد الحديدى . في عرفة
بيتها الرثة أمام جند - - - - -
سندس سدرى مع - - - - -
اهش قشرة مهتره واهنه - - - - -
بمصيبة استرحيب ، يا بسطة - - - - -
وسهلا ، ستنحى احد احوالها - - - - -
وقد جروا جميعا ليايو - - - - -
كان قد بحث عنه ، يجده ، بعض يوم -
وهم يتزاحمون بين سابقها وخواتها . وكان
حر اعطس رطبا ، وهواء الطرق مكتوما ،
ونفثات من روائح أكل بعد الظهر ونوم العيلولة
- - - - -
سبب النعمة فيه خبيثة - - - - -
- - - - -
سبب - - - - -
جربى بن الرحلان ، وتستقم قورا ، فعود
انهيار صدرها الصغير يتموتيه الناعمين
المدريتين - وقد سطع لعيني ، لحظة ، طريا ،
يهتز ، في احضانها - ويتخذ مكانه الآق في
مستقره من فحة البلوزة الخفيفة الواسعة
الجانبينز - وعظام وجهها الأبيض تتحدد في
عنة الباب والور من ورائها - ويقاكنه
شريط أحمر عريض معقود على الشعر البني
المسترسل الهش الملمس ، القسائم الآن في

وإنما المصوعة ، بأنافة حديد - مسيحية
ودراعاها العازيتان تبدوان منعشتين ، سمة
من هواء البحر الطرى في الجو ، وقد تكسر
البطن ، واسترخى الشهدان بجانبى البلورة
الرأسية ، والبطلون البيتى الصمى من قماش
خفيف كاروهات أبيض وأسود - صغيرة ،
هندسية - يستدير فى نحوه بالبطن
والردوي ، فى انصاف حميم ، ويتحلب على
رقف ، يقبها من الانهمار فى الضوء ، ويتهنى
تحت الركبتين بقليل ميترك السافى العارض
الموجئ رحامها ميثارد بارد ، وهى برفع
ساقها لكى تجلس على العويس أمامه ، الى
جنب ، فترفع الدعان الصاريتان من على
الأرض ، وتدعهما الى تحت جسمها ، فتلتصق
بطلى العدم الرقيقة بسامة الساق المكتسوفة
المستديرة ، وتستريح فى جلستها ، وترفع
ضجان الشاي لكى ترفش وتستهطعم ، فى
حف من تل عب ، فى حسية الراحعة اعلى
الجوف ، ومداد اسفل الأخر الشعاع اسفل

١٠

على شعيتها ، من لون الشريط العريض
والخط الأسود الحالك

وهم الشاى المشمس ، وعمر
بينهم حتى ارباب ، ولكن فيها شيئا مهددا
كامنا ، كأنها فرغت من أمر الفريسة ، وهي
تتلمظ في ادغال الأناث الرث القديم .

دخلت عليه فجأة وهو في العمل ، بعد انصراف الدكتور ، وحاول أن يعرض الأوهام على طابق العنجان ، لكنها كانت أسرع من حركته ، وراحت تثار دخان السيجارة الفرط المختة في الطابق ، والقطعة الصغيرة المقبرة اللون بجانيه - ولم تكلم - كان العمل ممثما في آخر العصر ، ولم يكن قد أصاب النور وفي عزمه أن ينتهي من السجارة قبل أن ينصرف إلى ليلة الطويل المثلث بالعمل - كان وجهها رخاها في العتمة ، أكثر شعوبا من رآه في أي وقت - وقالت له بصوت مضطرب انها نائلة ، فلم يسرع إلى النزول معها كعادته ،

عليها ؛ وما جدوى الكلام ؟ أى شيء يحقق له ما يتوق إليه من اندماج كامل ، ووصاء كل بالوعود التى ينبض بها الجسد ؟ ما من شيء فيه ولاء بالوعد ، ما من سبيل الى الوفاء بالوعد ، وعليه ان يروض نفسه ، ويسومها الصد ، ويتأى عليه أن يجاهد هذا الحريق اللاعج الذى يطوح به ، يدفعه للارتقاء على أبواب هذا الهيكل الباذخ الناعم الرخام ، ويحيى ، وهو يرد عليها ، وشفتها السلفية الداكنة الحمرة ما زالت ترتجف ، أهون رجعة ، مكتنفة بحصب لن يعرف طعمه أبدا ، حتى لو عصمت الأناس الحارة ، ودعت طماء الى الثمرة العنية بالرحيق ، فهناك فى داخله منطقة جيب كاملة لا ارتواء فيها - ذراعا فيهما توتر كهربى مشدود - هو أنه ضم الى صدره هذا الهيكل النثيف ، هناك فيه متعة لا تقال - وبصره يقع فجأة على ثنية تحت زرين من أزهار قميصها المصيفى ، ثنية من البطن العالى - انكشف لصور - انكشف لامام ، وهى تضع ساقا على ساق ، - القوام حب ليرى - حرى مجوده - فى صمته - غير محنته الطويلة - فى عماد لا بطن ، عن أن يحيطها بدراعيه - فهو يعرف ، يعرف أنه لن يجد شيئا - وهما كانت النار موقدة فى الحراب ، فإن قدس الاقداس خاو على عروشته ، وهو يعرف أنه سيبقى دائما ، دائما خارج الأبواب - يشرب ، ويعمل طول الليل ، ويعصى من الشرب والشغل ، هذا كل شيء - رنين الجرس المفاجئ العنيد ، فتقوم ترد على التليفون - نداءات معدنية مصمتة لايد من الرد عليها ، التليفون والباب والساعة والترام ، تحرش لا ينقطع ووخز الابر المشرعة فى اللحم الحى .

صدى صلصلة الجرس تحت سماء مفتوحة
باهتة صفائية مخففة الزرقة بالماء ، كسف
السحاب البيضاء في الشرق تخفي استدارة
الشمس ، ويتكسب منها ضوء رقراق طلق

صحو ، والثرام يصعد فجأة ، في رحلته الطويلة ، على كتف من الأرض الرملية ، يستمر متن الطريق ، بين سورين من أسلاك مشدودة على أوتاد حديدية عالية . وتتكشف زرق السماء من بين الأسلاك ، وهما في الثرام ، فوق ، على القصبان ، فوق قمة العالم ، تحت السحاب الأبيض ، النوافذ مفتوحة يهب منها النور المجلول القادم من البحر . وهناك فجأة ، تحت ، تنفتح أمام عينيهِ الصحراء - ومدينة الملح في وسط العراء - امتدادات من مياه الملاحة الساكنة تتلألأ عليها طيغ بلورية من الملح اللامع . وتقوم في وسطها أبراج عالية مخروطية ، عليها صليان فضية تلمع وتمكس وهج النور الصباحي ، وقياب مستديرة مفيرة لبياض ، ومآذن ساقطة نحيلة . وتبدو له سطوح البيوت ، والمناير ، متلاصقة ، مربعة ومستطيلة ، مبنية بالطوب والحجر . وقد ناخثت البلدة كلها في وحش مسقعات الملح ، وليس في المدينة من حركة ، وسط ليلاء الساجية المكسوة بالدمج ، سهول سبحة حوالها ، والماء الملح يصرخ على - زخاخ ، أمواجه ضحلة - عرق - الرمل ، يلعب تحتها الصعود في - عراء - الشاسعة المسطحة حتى لا يهبط الثرام فجأة ، تقصو به الأرض ، وترتفع حوائيه السدود الرملية القديمة المفسولة بمياه الأمطار من الشتاء ، فيها تجويعات رملية صلبة ، والثرام يشق النور الخفيف الساكن ، في رؤيا من حيا رائعة ، وأوراق التين الشوكي الصلبة المشبعة وتباتات الصبار الجافة الداكنة ، منتصية ساكنة ، تضرب فيها عصارة كسمة نزرة الماء .

وهما وحدهما ، في الثرام الحار ، يقف على المحطات الخشبية ، والأرصفة خالية . ويغم . والسائق مندفع ، من فجوات الصمت وصجيج القرقمة ، ويده تتلمس يدها ، وتمتر عليها ، فوق استدارة الجسم وبين حناياه الطرية ، وتتداخل الأصابع في تماسك حميم وثيق ، في بحث ملهوف - عظامها الرقيقة مضطرم بأصابعه ، تحت جلدها الدمت

الفض ، وتدفن نفسها بين ثنيات يده ، منمسة أيضا ، تنقب عن شيء ما ، عن تواصل ما ، عن اندماج محسوم ، متعجبة ، تجوس ، وترتاد ، وتتفحص ، في الحاح ، ولجج ، ولهعة . والدماه تضرب في رجولته الأبراج والقياب تنبض تحت الشمس ، في مدينة ساحلية مهجورة في الصحراء ، تحت طبقات الملح . والخطوط الحديدية تتشابك وتتداخل وتخرج ، والمحطات تتوالى ، ثم تتراجع بين الرمال .

والثرام يقف ، ما هي ذى المحطة ، وينترع يده ، ونفسه ، منها ، فجأة ، ويقف ، لا يقول شيئا ، وإنما يجب أن يجري ، وينزل يلحق محطته ، قبل أن يقوم الثرام . ويندفع ، في عشاوة محبوبة منيرة . وما تكاد قدمه تمس رصيف ، وما يكاد ناظر المحطة ، الذي يجب وحده ، يتفتح في صفارته ، وما أن يستدير لينوح لها بإشارة التحية والوداع ، وسفوف ، ولآهاته ، متاهة للحركة ، وحشيش ، في يدهم تحده سحس

واللثة دون أن يراه ، إلى داخل الثرام ، بينما الثرام يتحرك . وهو يقبض مرغما ، متمشيا ، على حاجز السلم بخشبيه اللامع القديم ، في هذه الحمى الساطعة ، في سمت المحطة الصحراوية الخاوية ، وهو على سلم الثرام ، وقد بدأت القصبان الحديدية تتراجع تحته ، وجسد القاطرة يتزلزل في أول حركة . وإذا بحاجز السلم الخشبي يتخلع مرة واحدة في يده ، ويرتفع في الهواء . وهو يتطوح ، والثرام قد تجتمعت طاقته واندفع إلى الأمام . وهو قد تزايل ، لا يستند الآن على شيء ، وقدماه تتزعزعان من على السلم ، والرصيف قد تراجع ، ويده قد ارتفعت قبضتها بالحاجز المخلوع ، وهو يتطرح ، ويتهاوى ، على وشك التردى إلى

الوراء ، في سرعة انطلاق الترام . ولكن
الكمسارى يمد يده فجأة ، ويجذبه ، ينثره
الى الداخل ، مرة واحدة ، وهو يشب ، لا يحس
شيئا ، وإذا هو فى الداخل ، فى أمان مؤقت
لحق لهفته ، وآواه ، وراء زجاج الواجهة ،
على رقعة من أرض الترام المعدنية المنطلقة فى
طريقها .

يا أخى مش تحاسب ، حصل خير على كل
حال . احمد . جيب مسيكة . ناله عو
المدنب ، كان هذا الحاجر الحشيشي المخلوع لم
يكن عسك . ولا دة من ذبح به د سسم
الترام ، من ظهره . كأنما كان سيقع ، ونفع
الحادثة ، بغطائه ودنيه . وكانت قد ظلت
حالسة . بلا حراك ، تنحصر الى بصريه
ناله اسره . نى غيبه . مسوح مرورى .
لا ينسكب ، صامت ، على قاع أصفر ذهبي
باهت ، به نقاط رقيقة سوداء .

والكمسارى يتجه اليه . فى قصد . يسب
شيئا . مهددا . لا يتكلم . لكنه يراجع
رأس ورائه ، من الدور الهوى . ثم
الأعراب ، منجهي اليها . لا
لى يتراجعوا . له من
عامرية . يد سب

الصحراوية ، من التراب فى المصح . على
اكتافهم ، ورؤوسهم ، بطائيات صحراء
ناصلة ، بها مريمات زرقاء باهتة ، يخفون
بها جوانب وجوههم ، لا تيسد الا عيونهم
السوداء الضيقة ، جامدة ، عميقة لا يسبر لها
غور ، تحت اهدابها الشقراء ، على الجلد
الأسود المديوخ ، وتنبات الغضون فى رجومهم
يسر خطوط رقيقة ممرحة يصف ، فى الجلود
اصفحه انى صوحها سمس لا رحم
وصهدها حر قاس لاينى يعود يوما بعد يوم .
وحوال القم تقرحات بيضاء ، كأوراق مفرقة
باهتة ، مزقة من وسطها مرقا مشعنة ،
يقطونها ، بأطراف البطائيات ، بأيديهم
المروقة السوداء التى تشعب البياض وتشرج
فى سوادها ، بأزهار وحشية الشكل ، شائكة
كالصبار . وهم يجتمعون حواله ، وراء
الكمسارى ، صامتين ، عيونهم ترى ، ولا

ترى ، محترقة ، مصوبة نحوه ، مشدودة
اليه ، تسطع فى غورها ، لا تطرف . ماذا ترى
فيه ؟ كل منها شمس صغيرة متقدة . يتألبون
عليه ، بأعوادهم القضية الخاسفة ، ضاوية
أجسامهم تحت البطائيات ، وقد حفوا به ،
كأنما يتوقفون منه الحيانة ، وينتظرونه . وقد
اعتورته ، برغمه ، سحابة هومومهم ، وعشته
عاشيتهم ، بؤرتهم هو ، هدفهم ، ونواة
احتشادهم . ويبد اليه الكمسارى أصمعه . فى
تحذير ، هؤلاء قومك ، هؤلاء ناسك ، اطلب
ايا منهم تجد . تحت أمرك . أنت منهم ،
وهم لك . أنت ، نعم ، أنت .

وقد ارتضى من ذعر مفاجئ ، نفضه من
شلله ، فهب يعلت من خطر محقق .

ويندفع ، دون أن يدري ، يجرى ، يشب ،
ويستقط من الترام الخشبي بها ، بالكمسارى
ويستاق . و . حميد . سخطه .
طرد . بعد الآن . وتتلوح الأرض تحت
برقع . مسطبة ، ثم تنحفض به . وهو
لاحت سماء الى الأمام ، يكاد
سليم . لا صوب
سرام . فاضل بعيدا
سما . ما فيه .

ودعاه سبيل على
الأرض الرملية ، يصدر عنها خفيف جاف فى
السكون الذى يعود فيرين على كل شيء .
وليس فى قلبه حس ما ، إلا بأنه وحده ، وقد
وصل الى آخر السكة . وحده ، فى رمل
الصحراء ، ينسكب عليه ضوء رقرق من وراء
السحاب الأبيض الخفيف . والهواء جاف ،
طاهر ، والصفى مطبق ، تام ، فى فراغ
الصحراء ، أمام الخطوط الحديدية الممتدة ،
حتى النهاية .



هل يموت الأب...؟

بقلم: أبو المعاطي أبو النجاشي

- ماما .. لماذا تغفليه الراديو ؟
— تستطيع أن تفتحته حين تريد .
— ولكنك تغفليه في كل وقت .
— نعم !!
— راسي تمنيني قليلا هذا المساء .
— هل هي تمنيك دائما يا ماما ؟
— نعم .. لا !!
ويصمت ، راشد ، قليلا ، بينما تخطو أمه في اتجاه حجرة النوم ، وتتوقف حين يجتذب أطراف ثوبها قبضه صغيرة ، وتلتفت إلى الورا لتجد طفلها قد ألقي بفأتمته إلى الورا مطمئنا إلى أن الثوب قد تحول إلى أنشودة محكمة ، تنجح دائما في أن توقف أمه حيث يريد ، وتسمع له بأن يميل بجسده إلى الورا ، إلى أقصى الورا ، دون أن يخشى السقوط !
وفي استسلام تمود إليه ، لتصنع له من صدرها وذراعها أنشودة أرق !
— لم تعد صغيرا يا حبيبتي .. أصبحت
- راسي .. لماذا تغفليه الراديو ؟
— تستطيع أن تفتحته حين تريد .
— ولكنك تغفليه في كل وقت .
— نعم !!
— راسي تمنيني قليلا هذا المساء .
— هل هي تمنيك دائما يا ماما ؟
— نعم .. لا !!
ويصمت ، راشد ، قليلا ، بينما تخطو أمه في اتجاه حجرة النوم ، وتتوقف حين يجتذب أطراف ثوبها قبضه صغيرة ، وتلتفت إلى الورا لتجد طفلها قد ألقي بفأتمته إلى الورا مطمئنا إلى أن الثوب قد تحول إلى أنشودة محكمة ، تنجح دائما في أن توقف أمه حيث يريد ، وتسمع له بأن يميل بجسده إلى الورا ، إلى أقصى الورا ، دون أن يخشى السقوط !
وفي استسلام تمود إليه ، لتصنع له من صدرها وذراعها أنشودة أرق !
— لم تعد صغيرا يا حبيبتي .. أصبحت
- راسي .. لماذا تغفليه الراديو ؟
— تستطيع أن تفتحته حين تريد .
— ولكنك تغفليه في كل وقت .
— نعم !!
— راسي تمنيني قليلا هذا المساء .
— هل هي تمنيك دائما يا ماما ؟
— نعم .. لا !!
ويصمت ، راشد ، قليلا ، بينما تخطو أمه في اتجاه حجرة النوم ، وتتوقف حين يجتذب أطراف ثوبها قبضه صغيرة ، وتلتفت إلى الورا لتجد طفلها قد ألقي بفأتمته إلى الورا مطمئنا إلى أن الثوب قد تحول إلى أنشودة محكمة ، تنجح دائما في أن توقف أمه حيث يريد ، وتسمع له بأن يميل بجسده إلى الورا ، إلى أقصى الورا ، دون أن يخشى السقوط !
وفي استسلام تمود إليه ، لتصنع له من صدرها وذراعها أنشودة أرق !
— لم تعد صغيرا يا حبيبتي .. أصبحت



سبحان الله العظيم
لا فكاك منه !
وتقول في استعلاء

في ضوء مصباح حافت الضوء تبدأ مراسيم
الآب . تبدأ في كل ليلة حين تمسدد في
فرائضها . فتصبح صورة الآب في مواجهتها
ساما . تطل من إطار من الخشب المحفور
المدحج . منذ أكثر من عشرة أعوام وهو في
وصفه تلك . على شفثته نفس الابتسامة
الحقيقية الوافقة . بنفس نيابه العسكرية .
بنفس رتبته القديمة . لقد حاز بعدها أرفع
الأوسمة والرتب . لكن تلك الصورة
القديمة هي أقرب صورة الى قلبها . فهي
صورة حبها الأول . وصورة زوجها . ومنذ
حين صدمته . أصبح صوره
بابا . بابا . الأسرة كلها . وكانت تحب أن
يكون لها « بابا » صغير مثله !!

منذ شهور دعي ليشارك في تلك الحرب
الآخيرة التي نشبت فجأة . وانتهت فجأة

— خالك ... وعمت ... وجميع من
نحبهم من أصحابك !!
— أريد أن يحضر بابا هذا الحفل
— إذا انتهت مهمته سيحضر بالتأكيد
— ومنى ستبني مهمته ؟
وبكل ما تقدر عليه من هدوء قالت
— لست أعرف ... قلت لك كثيرا لست
أعرف !! ثم أصاحت وكانها تعتذر له :
حين تنتهي مهمة بابا سيبعث لنا برسالة
يخبرنا فيها بموعد حضوره
— ولكن بابا يعرف أن عيد ميلادي بعد
شهرين !
— نعم !
— سيبحضر ... لا بد أن يحضر . ويحضر
معه ... و ... و ...

كذلك ، ولم يعد ، وانتظرت أياها وأصابني
شهوراً ، ولم يعد ، ولم تكن وحدها التي تنتظر
عودته ، كان « راشد » ينتظر بدوره ، ولم
يكن من السهل أن تقول « لراشد » كل
ما يمكن أن تقوله لنفسها ، وكان عليها أن
يعيد في وقت واحد عدة لغات ، في النهار
كانت تتحدث بلغة الناس ، تتحدث إلى
شعبها ، وشقيق زوجها ، إلى الضيوف
والأصدقاء ، والجيران ، والأهل !

والمحو الى سنه الصغيرة ، وتذكروا تعلمه
الشديد بابيه ، واكدوا أن مصارحة الطغى
بحقيقة الموقف - الآن على الأقل - ذلة ، تهديد
له صدمة تؤثر على مستقبله كله .

وقال حال الطفل
عنه انه يريد ان
يأكل اكله!

ولا تدري هل قبلت بصانعيهم بنت لاهيا
أكثر منهم خوفاً عليه أم خوفاً منه ، كانت
تسمر بطريقة ما ، وكأنها مسئولة عن فقد
الأب - أن أحدا لا يحملها هذه المسئولية -
ولكنها كانت تسمر أن طفلها هو الوحيد
الذي سيعمل ذلك ، وهل يملك طفلها وسيلة
لتحكم على الأشياء ، سوى ذلك الشعور
بطول الذي لا يمكنه الفصل بين أمه وأبيه،
كوجهي لحقيقة واحدة ، حقيقة توفر له الأمن
والسلام والسعادة ، وهذه كلها لا تتوفر إلا
حين يكونان معا ، كما يكون جناحا الطائر ،
وحيث يختفي أحد هذين الوجهين ، فمن يكون
مستولا أمام شعور ابن الأعمى التسعة سوى
الوجه الباقي ... وجه الأم !

وهكذا ولدت لغة الابن ، لغة المطاردة التي
تكرر كل يوم ولا تنتهي أبدا ، ولدت من
الحب والخوف معا ، وتطورت لتصبح طقوسا

ومراسيم تؤذيها الأم كل يوم مع ابنها وتنتهي
حين ينام الطفل ... لتبدأ مراسيم الأب ،
تبدأ لغة قلبها ، لغة بلا حروف ، لغة الدم
الصاعد الى الرأس أحيانا ، والأطراف المثلجة
أحيانا أخرى ، لغة العرق والاربعاء والوعدة،
والقلب الذي لا يزال يندق بعنف ، حين يندق
جرس الباب أو جرس التليفون ، حين تسمع
صوتا غريبا ، أو ترى وجهها لأول مرة ، حين
تلمح في عيون الأهل بريقا طارئا ، أو في
أصواتهم نبرة عريية ، لغة الحلم الغامض ،
والأمل الذي لا يختفي ولا يبين والانتظار
الذي يصبح في وقت واحد أفضل عذاب للأمل
والياس ، انتظار أن يعود الأب ، ذات صباح ،
أو ذات مساء ، أن رؤية الموت أعظم تبريره له ،
واعتداده عنه ، وكيف يصدق قلبها أنه مات
حقا دون أن ترى موته !!

[illegible]

في الصباح يذهب « راشد » إلى المدرسة ، وفي المساء يعود ، في كل صباح تدرك أمه وهي تودعه أمام « الفيل » السابقة ، أن ذراعها قصيرتان جدا ، لن تصلا إلى كل مكان يذهب إليه ، لن تكونا معه دائما ، وفي كل مساء يدرك أنها تنسلم لطفل آخر ، مختلفا بعض الشيء ، طمحا يلتقي بمن لا يشاركونها الخوف عليه أو الخوف منه ، طفلا يسمع ويتكلم لغة لا تعرف كل طفوسها ، وحين تبدأ مراسيم المطاردة اليومية ، تتعلم شيئا عن هذه اللغة ، « فراشه » يدرك على نحو ما أن بلده كانت تجارب ، وأنها خسرت الحرب ، وأن الإعداء يحتلون جزءا من بلده ، وأن الحرب قد تقوم من جديد ، وأن أباه هناك ليظرد الإعداء ، من أسبغته إليه . لا تتعلم إلا الحرب ،

والإعداد ، وأصوات المدافع ، وذكريات الطلام
حين ينقطع النور فجأة ، وعن أبيه ، من كل
هذه الأسئلة كان يغفل حبال أنشطته
اليومية ، أنشودة تنسج كل يوم ، وتلتهم في
شراة حكايات الأم وأعدائاتها ، وتبريراتها
وشرش في النهاية أن تلتهم صبرها !!

ذات مساء سأل « راشد » أمه :

— لماذا لا يجيء بابا ؟

هكذا جاء السؤال ، بلا مقدمات ، بلهجة
بائرة شئ بفاذ صبره هو الآخر ، بأحاسسه
بان في المسألة سرا ، وبانه يريد أن يعرف
هذا السر ، بان لديه هو الآخر مصادر أخرى
للمعرفة وبان أمه ليست هي أم الدنيا كلها ،
وبان اللغة التي سمعها منها كل يوم ليست
هي أصمق اللغات !

وتصرخ الأم هذه المرة ، تصرخ بصوت :

— سب أعرف ... أنا مثلك لا أعرف ..

يلت لث المرة لا أعرف ..

كبت تلك هي المرة الأولى التي يرفع فيه
صوته ، وصره الابن الذي حرس
أبنا له ... وكبت هذه المرة عن
يتطوع بزيه والسمح ! وتضمه الى
صدرها نصف ناعف من صراخها ، وتشعر
ان دراعها طويلا ، وأنها تطوق بها العالم .
ويشعر هو أنها أم الدنيا كلها ، وكان عمر
شعورها وشعوره مجرد لحظة بعدها تناسي
تماما مسألة أبيه ، ليتذكر الميوب والنقائص
في كل شئ ، في البيت والطعام والثياب
واللعب !!

تنازل عن أبيه ليطلب كل ما يقدرون عليه ،
وستحيل رغبته في امتلاك الأشياء الى رغبة
في تدميرها ، وحين لا يجد ما يدمره يبدو
وكأنه يريد أن يدمر نفسه ، فلا يتعلق الا بأرق
غصص في أشجار الحديقة ، ولا يمشي الا فوق
حرف باب السور ، يجعل مراحه مع
الافتقار في سراح إلى سحر . يعود منه كل
يوم ممزق الثياب ، والجلد ، ملطخا بالدم
والتراب ، وتقتل عشرات اللعب والزيارات
والعود التي يبذلها خاله في أن تجعل منه



ذلك الصبي الهادي الذي كانوا يعرفونه !
دات مسء يقول حاله لأمه :

— اعتقد أن الوقت قد حان ليعرف الحقيقة
نقبص وجه الأم ، قالت بمصيبة أصبح
أحدى لوازمها .

— هل تطنه سوف يحتمل ؟ هل تطنه
سيهدأ ؟ هل تطنه سيغم ؟ هل تطن لأمه
سمسى .

— اخشى أن يعرف الحقيقة من غيرنا فيقع
ثقله فينا ، وفي نفسه !

— أي حقيقة تعني ؟ قالتها الأم وهي بحس
في وجه شعيقها ، وكأنها تسمعه لأول وهلة .
— موت أبيه !

قالتا بدحول ثم تابع في دهشة :
— ماذا قلت ؟

ولادب الأم بصمت عميق ، صم ثم يجرؤ
شمسيتها على أن يتخذه مكعبا يوحى
الحديق في وجهها والاشد عليها .

ولكنه هو راشد ، صم ثم يجرؤ
ولكنه هو راشد ، صم ثم يجرؤ
ولكنه هو راشد ، صم ثم يجرؤ

Sakhrat.com

تطلعت إليه أمه في لهفة ، كان نكته
بهده غريب ، وكان يحرك بنفس الهدو ،
متحدثا لأمه ، متجاهلا خاله الذي يجس
بجوارها في تلك الليلة .

— بابا أرسل لي خطابا ؟

— ماذا تقول ؟ أين ؟

قالتها الأم بلهفة وبلا تعكير ، واستجب
القلق بشقيقها ، وبتقطيع حادة في وجهه
حاول أن يلمتها إلى حظيرة الموقف !

— طلب مني ألا أزيه لأحد !

— أين الخطاب ؟

— صم ، يا مجنونة ! ثم استرد
هدوءه في محاولة يائسة لتعير الموضوع
محاولا أن يسك بيد الصبي .

— الليلة سنسهر معا في مدينة الملاهي ،
وبرك القطار الدوار !

— فقال لي بابا ، لا نذهب إلى مدينة
الملاهي .

قالتا الصبي وهو يسترد يده من يد خاله .
ومن حديد حاول خاله أن يسك بأي شيء .
فسال الصبي :

— ماذا قال لك بابا ؟

وعيل أن يرد « راشد » وأصل خاله
اجتذاب الحيط الذي أمسك به

خمس حفر لك كما يقول بابا !

— صم ، يا مجنونة ! ثم استرد
هدوءه في محاولة يائسة لتعير الموضوع
محاولا أن يسك بيد الصبي .

Sakhrat.com

— بابا يقول ؟

وأصبح يمارسها بهدو أكثر ، بهدو
صاحب الحق !

وقال لهم الطبيب : ليس ثمة ما يدعو
لقلق ! ثم سال :

— هل تغيرت مطالبه التي أصبح يفرضها
باسم أبيه ؟

قال خاله : لم تغير ، لا يزال يسودها
العنف والقلق والحلة !



دهمها السؤال ، كان يصمت الى المذراع
وحدث فيها ، قالت في ياس .
- ألا صدق ماما ؟
- لا !

صته الى صدرها بقوة لتخفي وجهها عن
عييه ، كانت تسمعه في وضوح وهو يقول
خلال شهقاتها :

بابا قال لي : انه مات في الحرب !
وارتجعت يداها حول جسده ، ثم تكن ندري
أهي ستفهم أم تستند اليه ، كل ما تدريه
انه لم يتأكد لديها قبل هذه اللحظة موت
الأب . أو ربما أنه لا يموت أبدا !!
في الصباح ذهب « راشد » الى المدرسة ،
في المساء عاد . خلع ثياب المدرسة ، أمسك
بقامه ليواصل اصلاح الجزء المهدم من سور
جده . كانت تلك أول مرة يقف فيها ذلك

بابا يريد

عند رتب انفس
ولا سحر بالخوف
http://arcp1.com

المدرسة بدعوك لحضور الحفل التثميني
الذي تقيمه ، ثم أوضح ، ألصق دورا هامة في
الرواية الجديدة التي تقدمها المدرسة !
في صالة المسرح كانت الأم تجلس بين
النظارة ، على المسرح كان « راشد » يلعب
دور البطولة ، وكان الممثلون الصغار يتكلمون
جميعا لغة واحدة ، وكانت الأم وكل الأمهات
في الصالة يفهمن نفس اللغة !!

« سماع عذبا بعض سي »
يجدول اصلاح سور الحديقة . « ستم سي »
في الحيلة يقلد أباه في مزق !
قال الطبيب .

لماذا لا تشاركونه في نفس اللعبة ؟

ثم أوضح كلامه قائلا :

لماذا لا يرسل « بابا » خطابات أخرى
لكم ، بحيث تصبح نصائحكم له ، بل
وأمركم هي أوامر « بابا » نفسه !!
ولم تكن الأم مستريحة لهذه اللعبة ، ولا
راضية ، كانت أسطورة « بابا » تنضخم ،
وتصبح حقيقة غريبة غير متجاسمة فيأيا
الطفل جسور عنيد مغامر ، وبابا الأم عاقل
وهادي متردد ، بابا الطفل يطارد اللصوص
والأعداء ويتكلم بلغة الشارع والمدرسة
والنادي ، وبابا الأم يذكر دروسه ، ويتام
مبكرا ويحافظ على ثيابه ولا يستقر على لغة
واحدة !!

ربما أصبح
رحس كنه من طرا
الصدام بين الرجلين تقررت
دات مساء ، كانا وحدهما في
وكان المذراع مفتوحا على شجرة الأجداد :

قالت الأم في تخاذل

« بابا يريدك أن تمام مبكرا !

« لا أريد أن أنام الآن !

كان المسذبح يصف في تلك اللحظة ،
اشتباكا عسكريا حدث بينما وبين الأعداء ،
سقط فيه عدد من الضحايا

« بابا قال في رسالته لا بد أن ينام

« راشد » مبكرا

« أين رسالة بابا ؟



قضية

الساويزين

صقر

بقلم: د. نعيم عطية



اغلق باب غرفة الأستاذ شكرى وراه .

لم يفهم كثيرا مما قاله له . تلاطمت المبارات في عقله ، وتردد في أعماقه هديرها .

خرج الى الردهة . سألته مرافقه الذى كان في انتظاره :

— خير . قال لك إيه ؟

طرقت عيناه رغما عنه . كيف يحدث هذا ، وهو المعروف بنظرانه التى لم يكن يقوى أى سائق عربية كارو ان يواجهها أكثر من ثوان ؟ !

تتأثر الزبائن على المقاعد ينتظرون دورهم . غض البصر . كان الحاضرون يحملقون في وجهه . رفع كفه ، ومسح شفتيه ببطء . كما لو كان يرد الميون عن وجهه ، كما لو كان يحجب سوءه . وخرجت الكلمات من حلقه بصعوبة :

— ما فيش .

— مى ما ليش .
الوقت ده كان يقول لك إيه ؟ كان جالس عن صحتك ؟

— لا . كلام كثير .

— يا أخى ، ما نقول !

لكنه لم يجد رغبة في أن يقول شيئا . كانت شفتاه ثقيلتين . تذكر ما قاله له معاون الإدارة يوم الأربعاء في لهجة الواقع :

— ليس هذا من الأوامر الإدارية التى تختص المحكمة بها الفاء أو تمويضا؛ باشاويش صقر .

طلب المعاون في الغرفة المجاورة ، ولما عاد سألته :

— كنا بنقول إيه ؟

جلس الى مكتبه ، ثم مضى يقول موضحا .

— آه ، شوف .. ليس هذا أفصاحا من الجهة الإدارية من إرادتها الملزمة بقصد أحداث اثر قانوني .

سألته الشاويش صقر :

— امال يبقى إيه ؟

دق جرس التليفون . رفع سليم افندى السماعة . النمرة غلط .

عاود الشاويش صقر السؤال :

— امال يبقى إيه ؟ !

أخرج معاون الإدارة مندبلا رماديا من جيبه ، وأزاح الطربوش عن جبينه ، ومسح عرقه :

— سمى إيه ؟ عاود تعرف يبقى إيه ؟ حاضر أنا أقول لك .

وأردف سليم افندى قائلا ، كمن يقرأ في كتاب « التعليمات الادارية » الذى جمع بنوده وصنفها سلجق بك خورشيد :

— يبقى من التدابير التنظيمية التى حددت السلطات الرئاسية لتحديد أسلوب العمل . رؤسها . وجرياتها على سعة . على استيعابهم للمظهر .

— مبارك تطل في عمله . نضجيات النظام نضجيات النظام .

« المظهر اللائق .. مقتضيات النظام »

ثم كانت الكلمات تختلط ، كسرب من الهاموش ؟ أو اللبالب ، وتطاردته حتى في نومه .

أول الأمر لم يكن يفكر في أن يلجأ الى محام ، إلا أن الهم اشتد عليه . ليلة أمس هب من نومه يصيح :

— مقتضيات النظام ! المظهر اللائق !

في البداية لم تتحرك أذنة البدينة التى نفضت الى جواره على انقراض ، لكن التكرار يوقظ الحمار . استيقظت ببطء كقططار بضاعة بشرع في التحرك ، ثم هبت تتلفت حولها :

— إيه ، يا صقر ، حرامى في البيت ؟ ! حاول ان يخفى عليها ، لكنه مع التكرار لم يعد يقوى على الاخفاء . ركل اللحاف

ياريت ! ياريت !

مازال صوت الحكمدار يدوي في اذنيه .
استدعاه في ٧ سبتمبر الى مكتبه . عندما
عاد الى بيته ليلة ٦ سبتمبر وجد ورقة
مطوية على المنضدة في الفسحة بانتظاره .
قالت له هاتم :

— جابها واحد مخصوص .

— ماقالتش على اسمه ؟

— سه لك متناحرش .

فض الشاويش صقر الورقة المطوية .
لم يستطع ان يكتم انفعاله . رفع يده ويرم
طرف شاربه المنتصب .

« عاجل جدا وهام .. مطلوب الساعة
الثامنة صباح يوم الثلاثاء .. بمكتب سعادة
الحكمدار »

ورفع يده المرتعشة الى شاربه مرة اخرى .
يرى ماذا يريد سعادة الباشا ؟ ذهب الى
أقرب كرسي ، وجلس عليه . الفسحة من
حولُه ملاء سحر . أخذ يفكر ، وسرعان به
« بعد بعد .. مديد وقديمه .. ثلاثة
شاربون .. ما فرق المرور .. اسوان ،
البحر .. » « سماعلية ، طنطا ، ثم
البحر .. » « لقد امضى اكثر من سبع سنوات
يحكم المرور في مكان واحد ، امام « الكلوب »
كان فيها موضع تقدير رواد النادي ، وهم
جميعا من عليا القوم . بل كان موضع العطف
السامي ايضا في كل زيارة لصاحب المقام
الرفيع رئيس الوزراء للنادي . وقد تفضل
رفقته بمنحة منحة كريمة على يد البكباشي
سليم عزمي .

لمعت عيناه . وكان شاربه يرتص طربا .
ترى اهي منحة جديدة ؟ ! وابتنسم . مؤكدا
ان الباشا الحكمدار قد اطلع على الجرائد
والمجلات مؤخرا . شاربه الطويل يسترعى
انتباه الجماهير والتفانهم . انه اصبح من
المعالم المعروفة في المدينة . الشهر الماضي
جاء اليه أحد الافندية المتعلمين ، وهو واقف
ينظم المرور في نقطته المعهودة عند تقاطع
شارعي سليمان باشا والبستان . حياه
بحرارة واعجاب . وقال له انه صحفى ..

يحتاج الى مزيد من الإيضاح لزبونه الذي
ليس على قدر ثقافته ، فمضى يقول :

— آه ، هذا مؤلف الاستاذ الدكتور
عز الدين خليفة . تصور انه استاذ الكرسى
بكلية الحقوق .. منذ طرد الاستاذ الآخر .
قلب الاستاذ شكرى غلاف الكتاب ، وأراه
اسم المؤلف مكتوبا بخط عريض . وأردف
يقول :

— ماعندكش فكره المحاكم بتحترم كلامه
قد ايه اصله ناقل عن استاذ فرنسي كبير .
المهم ترجع لموضوعنا .

وضيع المحامي اصبعه على سطر في
الكتاب ، وقال مهللا :

— شوف ، شوف ، يقول ايه ..
« ولامرء في اعتباره على مقتضى هذا النظر
امرا اداريا مستكملا لجميع خصائصه
ومميزاته » .

والتي الجملة الأخيرة كما لو كان جزارا
بهوى سكنه على ركب ..

— ومن ثم يكون اللفظ على سبيل
متمعنا رفضه . « سابعه .. »
الأمواج تتلاطم . تسبح ..
شعاع الغدرك يكتسب السماء . ثم
السحب .

— هذه دعوى مماثلة يا أومباشي !

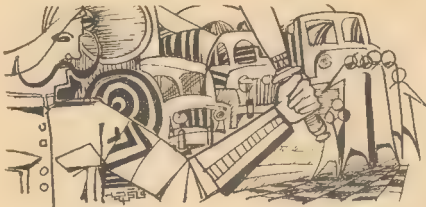
ثم استعرد كما لو فهم شيئا كان خافيا
عليه :

— لعل مثار الشبهة التي تقوم لدى
الحكومة ان التصرف المشكوك منه هو فعل
مادى تختص المحاكم المدنية دون محكمة
القضاء الإدارى بالتعويض عنه .

....

— أهذا ما قاله لك الاستاذ شكرى ؟ عل
.. مبروك .. تمى كست الفسه !

أحقا سيكسب القضية ؟ ! أحقا سيمود
الحال الى أصله ، كما قال المحامي ؟ ! أحقا
سيضئ وجهه كما كان يضيء من قبل ؟ أحقا
سيقف الصقر على شاربه ، كما كان يقال
له من قبل ؟ !



بدخل عليه في حجرته برأى المحافظة ؟
ماذا سيقول ؟ كيف سينحنى ؟ كيف
سيتلقى أطراء الباشا وثناء بتواضع متكلف ؟
كيف سيستدير خارجا ؟ كل شيء فكر فيه
واعيد له العدة .

الساعة الواحدة . خمس ساعات يقف
في «الردهة» في انتظار ان يطلبه الباشا
الجنرال بين يديه . اخرج منديله ،
وكنز كعش . كل شيء سيهون
بعدما سيظهر له سعادة الباشا ، ويستم
في وجهه .

السلة الواحدة وحشر دقائق ، استدعاء
سكرتير الحكيمدار لمقابلة الباشا . دخل
العرفة العذمة . لم يجلس . لم يتسرع
الوقت . ما ان خطا ثلاث خطوات حتى انفجر
سعادة الباشا صائحا في وجهه :

« انت يا ولد .. الا تعرف ان النظام
العسكري يستلزم ان يظهر الجندي بظهر
لاق ؟ »

« حصل ايه ، لاسمع الله ، يا سعادة ..
ارتع الاناث الثقيل في غرفة الحكيمدار :
« بص شوف عاجبك ؟ »

واخرج من درج مكتبه الاوسط عددا من
مجلة « آخر ساعة » ، وقذف به على المكتب .
فراى صقر على الغلاف صورة نصفية له
بالألوان ، وقد شتمخ طرفا شاربه الى
السماء .

ونصيب ، ولا شيء اكثر من ذلك . وارتسمت
الحيرة في مقلتيه ، فاردف الصحفي يقول :

« يعني الحريم ..
قرر ان يسد عليه هذا الباب :
« لا يا افندي .. ده عيب .. انا راحل
متزوج .. وفي حالي ..

« عفارم عليك ، يا شاويش .. ياريت
ريك في البوليس عشرين ..
ياريت ترك في البوليس عشرين ..
ريك في البوليس عند
« اسحق لك الد
سفين !

قطعت هانم عليه افكاره .. واحس وهو
يخلع حذائيه الثقيلين في تلك الليلة بالرضا
عن نفسه .

في الصباح . وقف امام المرأة .. وفتح
العله ، واطال العناية بشاربته اكثر من كل
يوم .

صاحت هانم ، وهي تقفل الباب :
« خليك ناصح .. اطلب علاوة ..
ركب الترام من دوران شبرا . الرجال
من حوله افزام ، وهو شامخ الانف . ذلك
الصباح سأل أحد القرويين الغرباء عن المدينة
ابن مكتب التموين ، فلم يعن بالرد عليه .
كان يوغر كلماته للحكيمدار . وقد أعد
ترتيبات كاملة لتفاصيل مقابلته لسعادة
الباشا .. كيف سيضرب تعظيما عندما

— خذوه .

جره الجنود الثلاثة خارجا ، كأنهم على
لص خرجوا . وأغلقت عليه باب الزنازة .
أخرج أحدهم موسى ، وأحكم الآخرين
الامساك به . قامهم ، فلطموه . دقهم ،
فالغوا به أرضا . وجثم من معه موسى على
صدره . توسل إليهم :
— افقأوا عيني ! أنزعوا اظفاري ! هذا
حرام .. حرام .. حرام ..
فأضى به الألم . بعد لحظة كان الشارب
حديث المجلات كومة صغيرة جدا من الشعر .
بكى . احتلظ نسيجه بضحكات الثلاثة
الاشداء ، وتطليقاتهم .

....

— اليس هذا العمل مخالفا ، يا حضرات
المستشارين ، لأبسط قواعد الحرية
الشخصية التي كفلها الدستور ؟
جلجج صوت الأستاذ شكري في قاعة
المحكمة .

ومضت عينا الشاويش صقر يومض
الآلم والحق المكتوم . كان هذا الفعل إساءة
... في حد ... سياسيا شديدا بكرامته
... في ... والولاية ما حصه
موصلا للسجيرة والنهك .

لمح شعر الأستاذ شكري ، وهو يتراقع
بكل ما أوتي من قوة وحمية . وسمعه صر
يعول في حماسة :

— الحرية الشخصية هي عماد الحياة
الإنسانية كلها .. لا تخلقها الشرائع بل
تنظمها .. لا توجد القوانين بل توفق بين
شئتي متاحتها ، رعاية للصالح العام ، فهي
لا تتقبل من القيود إلا ما كان هادفا إلى هذه
الغاية مستوحيا تلك الأغراض .

ورد محامى سعادة الحكيمدار في هدوء
وبرود بان الباشا استدعى المدعى وكلفه
بحلق شاربه قصدع للأمر ، وتفذه طائما
مختارا . راع الشاويش صقر هذا الافتراء
الرخيص ، فصاح قائلا :

— كذب ! كذب !

استكته رئيس الجلسة بلهجة صارمة ،
وقال له :

استطرد سعادة الباشا بصوت مجلجل :

— أراى تتصل بالصحف المصورة، وتسمح
لها بأخذ صورتك .

ضرب الباشا المكتب بقبضته :

— وفي أوضاع مختلفة كمان .. مما يخل
بالكرامة العسكرية !

فتح الشاويش فمه ليدافع عن نفسه .
وأغلقه دون أن يقول شيئا ، فقد كان صوت
الباشا اللأثر أسرع منه :

— أراى يا ولد تزعل أفندينا بالشكل
ده ؟ ! بتقلده ؟ ! بتناقه ؟ !

— يامعالي ..

— موش عاوز كلمه !

— حاضر .

— من باكر انت منقول للمديح . فاهم ؟

— أمرك يا أفندي .

— أنت ماتستحش غير الوقوف بين

العربية .

— تمام يا أفندي .

وعلا صوت الباشا الحكيمدار :

— وكما ترد على ...

هز الشاويش صقر رأسه بالنقي :

— وتخرج من هنسا تخلق شبك ده كالى

طالع لحواجبك . فاهم ؟ !

يحلق شاربه هذا الذى عنى بتسبيقه

والمحافظة عليه معتزا به طيلة ثلاثة وعشرين

عاما قضائها في خدمة البوايس دون أن

يعترض على ذلك أحد من رؤسائه ، بل كان

محل رصاصاتهم وأصابعهم ؟ ! وأصدقائه في

المقهى ؟ ! ورفاقه في العمل ؟ ! وجيرانه ؟ !

وهائم ؟ ! وعلى الإخص هائم ؟ ! أيفرط في

كرامته حتى يصبح موشعا لسخرية

الساخرين ، وتهكم المتهمكين ؟ !

وخرجت الكلمة من فمه :

— لا .. موش ممكن !

ثارت ثائرة الحكيمدار . ودق جرسا على

مكتبه بشدة . دخل ثلاثة جنود أشداء

بلا شوارب . هرواوا . احاطوا بالشاويش

صقر . وأصدر الحكيمدار إليهم أمره :

— الباشا لا يكذب !

والنمرة بتوقيع الجزاء عليه اذا عاد يخل
بالنظام . ونبيه الى ان محاميه وحده هو
الذى يملك الكلمة عنه .

وواصل محامي الباشا مرافقته متمسكا
بما قاله ويان خلق الشارب بين رجلا
البوليس تدبير تنظيحي .. مثل ذلك ان
يصدر مدير الجامعة أمرا بان يلتمز الطلاب
بعدم الحضور الى قاعات الدرس عراة
الرؤوس ، او ان يصدر أحد القناصل أمرا
الى مستخدميه بالرداء لباس معين .

وجاء دور الاستاذ شكرى ، اوما اليه
رئيس الجلسة ، فيادر الى الوثوق وقفة
تمثيلية برداء المحاماة الاسود الغضفاضي ،
وضع يده اليسرى في جنبه ، ورفع يده
اليمنى عاليا ثم هوى بقبضته على المنصة
ثانلا :

— أن لوانع الولي، باحضرات المستشارين
لا تضمن ما يمنع العناية بالشارب أو تميمته
أما ارفع يد المنيق من هذه الأسر
طواميه فهو افتراء تايه ظروف الحال وتايه
وحتى إذا صح فهو لا يخص الامم
وبوصفه من جور وغش على هذه
المستكرى الغير الذي يكون برأيه
زوجته واولاده التسعة

اولاده التسعة ! ! صدمت هذه الحجة
اشايرش صقر . لكنه مالبث ان فهم ..
كانت هذه كذبة بيضاء من المحاسي .. ولا بأس
منها ، فمثل هذه التهاويل تستدر اشفاق
العدالة . اليس القضاء بشرا .. أم هم
وحوش وغيلان مثل الباشا ! !

[9.4.4.4]

بعد الجلسة طالبه الأستاذ شكري بجزء
من الاتعاب .. تحت الحساب .. قال له
مررا طله :

صحيح الجلسة تأجلت .. لكن ماراباك
مرافعتي .. هائلة .. اليس كذلك ؟
أخرج الشاويش صقر حافظة نقوده ..
وتقدمه ما طلبه من طبيب خاطره .. ووقف
الاستاذ شكري حتى يضع الخطة جينيه
في جيب سترته الداخلى .. قال ، وهو
يهز راسه كما لو كان يتحدث في امر جلال :

٠ ليست هذه الدعوى بحال دعاية أو
فكاهة ، مهما بدا عليها ذلك . بل على
التعريض سيحدث عنها كل رجل يعتز
بجولته ، ويفخر بكرامته .
وأردف عم ميلاد وكيل المكتب ، وهو يهرول
وراءهما :

— مؤکد • سیتحدث عنها کل رجل یعتر
برحوله • ویعبر بکرامته .

وقال الاستاذ شكوى لزيونه بلهجة أمرة :
- أعطه جنبها .. سنتحدث الاجيل
المقبله كلها عن هذه القضية .. وسيتكلم
يوما عنها مؤلفات القانون الإدارى ،
والصحافة ، والمحاكم الاجنبية .. يوما ما ،
وانقسم وكيل المكتب يؤيد استاذة :

— امال ؟ هي المسألة دي شبيهة ؟
حكيمدار يامر بجز شنب عسكري ! هذا
اعتداء صارخ على الرجولة ، وعلى الحريات
النحسة !

وہو الاسناد شکرى راسه ، وهو يخطو
الى ما

٢٧- واستمارة لاستعمال السلطة . ومن

فترا ، رافى الشاويش صقر كلام معاون
الادارة .. عن ميمون حلى بالك ..
لو كسبت القضية تترقد . » .. وتحرك
اصبح معاون الادارة امامه كمؤشر السرعة في
سيارة . لوح باصبعه في وجهه : « لو كسبت
القضية تترقد .. حد يقف قدام الباشا !
دا الحكيمدار هو معالى الوزير .. ومعالى
الوزير هو رفعة الرئيس .. والرئيس هو ..
اقتدنيا .. هو حد يقف قصاد اقتدنيا ..
لو كسبت القضية تترقد . ولما تترقد تعمل

صاح فيه الأستاذ شكرى وهو يقفز في
عربة تاكسى ، ومن خلفه وكيل المكتب :
— على العموم مائتساش .. الجلسة
اللى جايه .. تسعه ونص الصبح تكون
بوجود .

واغلق المحامي الباب. وانطلقت به السيارة
ليلاحق بمحكمة الجنج . . فقد كان موكلا
هناك في قضية هتك عرض . وبقي الشاويش



خرج الى الطريق . احس برغبة شديدة
في ان تربت على طير القطة الصغيرة القابعة
بسط سفل الجدار . ان يلمس باصابعه
شعرها اللامس وجسمها الدافئ . كانت
نظراتها اليه عطفوا مواسية . خطا نحوها
وخرت مسعدة .

خرجت الى الطريق . احس برغبة شديدة
في ان يلمس باصابعه
شعرها اللامس وجسمها الدافئ . كانت
نظراتها اليه عطفوا مواسية . خطا نحوها
وخرت مسعدة .

كانت القضية قد تاجلت الى غد .
ذهب الشاويش صقر الى الاستاذ شكرى
في مكتبه . لم يجده . قيل له انه كان خاضرا
في قضية ادارة بيت للدعارة بدون ترخيص
في الاسكندرية . ويحضر الى مكتبه
متاخرا . احس الشاويش صقر بالضيق .
فضل ان ينتظره بالمقهى القريب .

جلس وطلب شايا . لمح على المنضدة
المجاورة شابين ورجلا عجوزا . كان العجوز
قد بسط جريدته ، ودس رأسه بقرا فيها .
بالخط الاسود العريض في الصفحة اليمنى
« المظاهرات تحتاج الجامعة .. عشرات

صقر يتابع بنظراته الشاردة الغيار الذي
اتارته عجلات السياره المتعمدة .

سيحدث اذن اصحاب الضمائر الحية
والرجولة الكاملة عن هذه القضية . سيتكلم
عنها التاريخ الحاضر ، كما نتكلم نحن عن
التاريخ الغابر ، فهذه القضية لا تؤخذ
ببساطة ولا بمدايعه ، انما هي قضية مبدا .
فاما ان يكون هذا المبدأ ثابتا لانه مستمد
من نصوص القانون ومن روح العدالة .
والا فعلى التضاء ان يوقع الجزاء الرادع .
فحريات الناس لا تهدر بهذه السهولة
المؤلة ، لانها مكتولة بنص الدستور .

هذا ما قاله الاستاذ شكرى . لافض فوه .
وحلال فيه الاتعاب ، بل وفي وكيل مكتبه
ايضا . وخطر للشاويش صقر ان يمر على
المجلة . ويسأل عن الصحفي . لابد ان يعرض
موصوعه على الراى العام ، ففي ذلك عرا
له . ومما يشد من ارره ان تعف المجلة في
صفه ، وتهب في وجه النظام الجائرين .
الذين اسدوا عليه حياته .

صعد درجات المبنى . استوفعه رجل
اسمر . وسأله من ير .
موظف الاستعلامات ومعه اسم .
ابستم ؟ ما الداعي لهذه الإتهامات . كان له
سخريه منه ؟ ام هي رياء له واستسدى
عليه ؟ لكنه لم يأت في طلب الرئاء والاشفاق
من احد ! احس بالدرجات تدوب لحب
قديمه . وقال له العامل الاسمر :

— الاستاذ غير موجود .. في اجازة ..
طويلة .. غير متطور يرجع هنا .
هل طرده بدوره ؟ هل نقلوه ؟ بسببه ؟
— اتفرد ؟

— ليس هذا بالضبط .. هو على العموم
.. موقف .. وسيتقل ..
حسنا . مع السلامة .. لماذا كلما سألت
عن احد في مثل هذه الظروف .. وجدته
قد تبخر من الوجود ؟ لماذا يقوم في مثل هذه
الظروف بينك وبين الناس سياج زجاجي .
تكلّمهم فلا يسمعون صوتك ، تستصرخهم
فلا تلقى سوى الهمسات ، والإبتسامات
الغامضة ، والإيماءات ؟

الطبية يلقون حتفهم .. » أما الشابان فقد
انهكما في حديث سياسي. قال الشاب التحيل
حقيق الوجه لزميله :

— أظن .. عندما دايمًا رجالة ..
مستعدة صوت .

هز الآخر رأسه ، والتفت من حوله . ثم
قال :

— لكن الطريق شاق وطويل . أنا موش
شايف حوالى .. يصيص نور .. لمعت عينا
الآخر ، وقال .

— طريق النضال مخاطر . وطريق النصر
نصحيات .

وأتى صوت من اغوار المقي . كان صوت
العلم يصيح في الجرسون .

— روح فل له موش ممكن .. ابن عى
.. والسكر .. والجاز .. ولا يعنى فعليا .
طرد الشاويش صقر هذا الصوت الاجش

من ادنيه ، وارهف السمع الى حديث جاره
الشاب فقد احس بالاجذاب خفى نحوه .
اردف الشاب يقول لجليسه :

— لازم مقاومة .. والمقاومة بالاجد ..
انت فاكر ايه ؟! ده احنا .. ايجي غول كبير
غول كبير ؟! غول كبير

في هذا المساء من الشاويش ..
شبرا الرئيسى للوصول الى بيبيته لافوق مرة
.. منذ نعصية .. ولم يحتر الارفة التحلية

المظلمة قليلة الحركة . ولأول مرة احس بان
كميه يدق الارض وهو يسمير ، وانه لا يجر
قدميه جرا .

وفي تلك الليلة عندما جلس صقر الى
زوجته على الطبية يعسمان معا من صحن
واحد . در بها :

— المقاومة بالصمود ، يا ست الهوانم ..
ايه هو اتنى فاكره ايه ؟! ده احنا بنواجه
غول كبير !

نوب صقر عن المضغ ولعت عيناه ببريق
غريب . اردف يقول :

— وعلينا تختار .. اما تقبل وتتهان ..
واما ..
لم تقاوعه نفسه ان يكمل عبارته .. وقد
مثل في ذهنه مائد يكون عليه الحكم في
المضية .

هبت نسمة من النافذة الصغيرة المفتوحة
.. تراقصت ذباله لمبة الجاز .. وتراقصت
معا الاشباح السوداء على الحوائط .

اعدت هائم الافطار لزوجها مبكرا في صباح
يوم الجلطة . وجلست ابي جواره :

— تعرف انا حملت بايه ؟ كنت في بير ..
وبعدين طلعت سلم ماسك رايه .

— روح .. ربنا يصرك على مين يعاديك
ثم فتحت ذراعيهما الى السماء ، ودعت
لزوجها من اعماقها .

مسح الشاويش صقر فمه بيده ، وقال
بلهجة جادة :

— وانا كمان تعرفي كنت باحلم بايه ؟
اخفض صوته ، وتطلع حووه :
— كنا بتضرب اعندينا .

خبطت صدرها المكتنز بيدها مستنكرة
— مولانا ؟
.. .. . صقر شفع

.. .. . راتنى بركتى على صدره
.. .. . دوحه بيد الهوى .
صاحت هائم جزعة :

.. .. . حواليتاه ..
.. .. . والصفائر اشتملت .
وسألته زوجته في هلع :

— وبعدين ؟!
شرد بال الشاويش صقر ، وهبطت
معنويانه :

— موش عارف حصل ايه ..
واردف يقول ببطء :

— لافيتك باركه على صغرى انا ..
ويتضربى نافوخى بايد الهوى : .. وسولى
لى : قين الغلاوة ؟ قين ؟! حى ؟!

قطعت هائم الصمت الذى خيم برهة .
وقالت تدافع عن نفسها :

— اعمل لك ايه مادمتا على الحال ده عشر
ستين .. ماهيتك مازادتش مليم واحد .
طرد الشاويش صقر هذا الكاويس من
املحه .

وجهه طويلا ثم هو رأسه عجبا وتنهذ متمتما
« ازاي سايوه ده !! »

عاود سيرة .. الناس من حوله اشكال
والوان .. امرأة طويلة « تحيلة مخضبة »
الوجه .. تدخن سيجارة في مبسم نفى
طويل ، وتسحب باليد الاخرى كلبا صغرا
قصير السيقان معطوط البطن .. ثم يتمالك
الشاويش صقر نفسه والتفت يتأملها ..
صدرها شبه عار وقستانها اقصر من
ركبتيها . سمع احد الشبان يقول لزميله :
— مايقاش في الدنيا حيا .

فاجابه زميله ساخرا :

— ايه .. حرية ، ياخى ! حرية !!

وها هو القرداى يجر قردا وعذرة ..
ابتسم الشاويش صقر وقال لنفسه هامسا
« دنيا ! » ثم كاد يصطدم ببائع جوال يتشاجر
مع احد اصحاب الاكشاك الخشبية . كان
لبائع الجوال يريد ان يغرش بضاعته بجواربه
في رده .. سمع صقر يصيح بصوت
مخجول

— ياخى .. من اللدية علس انكشك
.. فقام .. بكل بساطه كده ..
هى انه .. موشى ..

برل الشاويش صقر من الرصيف وعبر
الشارع الى الرصيف الآخر .. وابتلعت جموع
المارة . كل منهم في عزلة . احس كأنه يدرع
الطريق وقد اسدل حوله ستار . غرق في
افكاره .. وهو يسير مع السائرين . قفز الى
ذاكرته صوت هانم وهى تحدثه عن ذلك اليوم
.. « موش عارفه ليه عبنى طول النهار
كانت بتترف . كنت حاسه يومها ان فيه
حاجة .. الشر بعيد — حانحصل .. تم
بخرت البيت .. ثم رآها امامه تعاتبه »
يعنى كان لازم تتصور انت رآخر .. وتفرعن
بصورتك في الجرنان زى الشبان الصغيرين
بتوع السيميا .. ثم تضحك له بدلال وتقول
لكن دمك يامضروب خفيف في الصورة ..
مانقولش ابوزيد الهلالى .. اسمم النبى
حارسك !

ابتسم صقر ابتسامة باهتة -

تنهدت هانم وقالت :

— يا حصرة ، جوز ام لوا حظ ..

صاح صقر فيها مقاطعا :

— موش طرشجى ؟

ردت هانم بأعجاب لزوج ام لوا حظ :

— طورشجى .. وماله كسيب !

وضع الشاويش صقر حدا للحديث الذى
بدا يتخذ منحى شائكة . وقال لزوجته :

— ماعلينا ، ادينى بريزه .. خلينى انزل

اروح لحالى .

قالت هانم لزوجها بلهجة حازمة :

— النهارده الجلسة ، خالى بالك ، وفتح

عين .. أعدل طربوشك .. خليك تروقى في

عين القاضى ويحكم لك .

لم تكن الجلسة جلسة مرافعة ، بل كانت

محددة للنطق بالحكم فحسب وسيذهب

ليسمع صوت رئيس المحكمة يجلس بالحكم

في ارجاء الجلسة .. بل في ارجاء الماهر

.. بل في ارجاء المصالح .. كما يقول له

الاستاذ شكرى كلما تفتش منه حزنه من

الانحباب .

سار الشاويش صقر مرورا في شارع

الصدر في طريقه الى المحكمة ليحضر ..

ان يركب ، فقد كان يحس بسلامة منوره

لاتقوياً على الجلوس . احس بأنه يريد ان

يسير الى آخر الدنيا .. ان يحمل سلاحا ،

وان يصعد جببا ، ويحنا صراوات شامسة

سار في الطريق .. واجهات المحال تتناوب

عن يمينه ها هو محل بيع عصافير للزينة

في اقماس .. كنابرا .. وبيضاء ملونة ..

كم كانت نظراتها بليدة وحزينة ، كم كانت

تتنافر في عصبية . واجهات عديدة فيها دمي

وارفف مزدحة بالثياب والعطور والاثاث

والحلى . وها هى واجهة بها كتب كثيرة

بعضها صغير وبعضها كبير .. كان أكبرها على

أى حال مجلدا كتب عليه « الأمم المتحدة » وتحت

بخط رفيع البحث الحاصل على جائزة احسن

الرسائل الجامعية . والى يمينه كتاب ذو

غلاف أبيض عنوانه « تحت ظلال الزيرفون »

وقد حمل الغلاف أيضا صورة فوتوغرافية

للشيخ المترجم . تأمل الشاويش صقر قسما

ضحى

بقلم : إسماعيل البنهاوى

كنتا حمسة ، إبراهيم ، فؤاد ، نادر ، وجيه ، وأنا
اجتمعنا لسمعة فؤاد - الصغرة اللطيفة لنحتفل مما
قد حققه الفؤاد من النجاح من جانبه هو ، كما قال
خاله من النساء .

تركنا أمنا على سيجتنا - تبادلنا الآراء في
الادب والعن والطبعة دون تصق أو اعتداد . وتناوب
منا الكتاب اللطيفة ناهية أو ذكية ، نضحك منها أو
عليها ، من فلووشا على أى حال .. بينما نتبادل
السلطة والنفس ، وتبادل الانشغال سفيرين طول
الوقت .. الى ان التفت فؤاد أمامه نحو سماعة
الحافظ ، فارتفعت أصارته جميعا معه اليها ، وهي
نعلن - في اصرار وبلا شعور - لهاب سنة عن الحياة
وحلول سنة جديدة فيها .

اعتدلنا في جلستنا . صمتنا مما وكنتنا على انفاق
والساعة تنلق وسط السكون . وبقينا وأجيب حتى
فطع فؤاد صمتنا في قسوة ، بقوله خفيفة وقال :
« نطعم الثور ؟ » .

أجابته نادر بسؤال آخر : « ولم ؟ » وهو يتسم
مستخفا يلفت حوله كأنه يبحث عن انشئ ، دون
جدوى . فصمتنا جميعا برفق ، في مجاملة سريعة
مصنوعة .

وتجاهل فؤاد الاجابة المسمنة في سؤال نادر ،





الأخيرة الثلاثة الرابض وسط المائدة أمامنا
ورحلتنا كانت على جنبه ، لم يربهما أحد بعد ،
« أليس كذلك ؟ » ، ونحن نتسابق في
مدايدتنا كمنزق البند . « اليكم مشروع الجزء الثاني
من البرنامج ، يمكن لنا بالتفصيل كل واحد منا قصة
حبه الأول .. لا يجوز أن يتلقى الحب الذي يروقه
لكن ، نرجع كل منا الى الماضي ، فيبحث في ذاكرته عن
حبه الأول - الأول بالذات ، والحب بالذات ، وليست
اي علاقة غيره . فاهمون »

« موافقون ! » هتفتا مسرورا واثقت فورا نحو
ابراهيم .. ! لقد خيل لي أن فؤاد ربما يكون قد دبر
هذا البرنامج من أجل أن يستمع الى ابراهيم بالذات ،

كان ابراهيم دائما - كما يبدو لي - حريصا
بالإزاحة على تجنب العديد من عواطفه ، كنا كلنا نتحدث
دون تحفظ عن « فراميانا » ومشكلاتنا ونلتفت
أحيانا « باتتصاراتنا » . أما هو ، فكان يكتفي
بالتعليق السطحي على « فامراتنا » نحن ، بطريقته
الخاصة ، في مداعبة رقيقة ، ودون أن يقدم نفسه
في محاولة أن يبرر أكثر مما يقال .

قبل زواجه ، كنا نعرف أن له علاقات بغيرنا
كثيرات . لم يكن يجمع بين الاثنين مطلقا : كل واحدة
وحدها لفترة طويلة ، وفضة نحل محلها لغيرها . كنا

فرد عليه في مسخريه جادة : « لنحذر من الحرق إلا
ههنا ثانية في نبرات مثقلة بـ « الحذر » .

لكن فؤاد انقلب جادا فصار : « يجب لا داعي
لإطفاء النور وفتحته . ما رأيكم لو غيرنا أسلوب سهرتنا
نمعا ؟ » . وأبتسم في نغم ضمما لس في وجوها
التجاوب السريع وحب الاستطلاع « لنقدم برنامجا جديدا
ممتعا تكون نحن جمهوره ونجومه ؟ » .

هجمت أن أسأله : « كيف ؟ » عندما تلقى
ابراهيم قبلي ، وكأنه لم يسمع ما قال فؤاد ، وبدأ
كانه يحدث نفسه ، لكن في حماس غصوب : « الواقع
أن إطفاء النور تم فتحه عملية وهمية أصلا .. »

سألته هو بدلا من فؤاد : « كيف ؟ » . ثم
أجابني في حقيق .. من نفسه - وكأنه يخفي مدحه
على نطق الفكره : « عملية وهمية وخلاص . كلمة قلتها
لأرتاح لا لتنافسي » . وبدأ كأنما كان يعني شيئا بذكره
وحده . وأبتسم في وجهي مبتلرا . ثم لفت رأسه
بسرعة الى فؤاد وأومأه بذلك : « هيم .. »

فاكمل فؤاد : « يغيل الى أننا في حاجة الى
أن نفتح السنة الجديدة بوقار ، نقول كلاما مفيدا «
وضحك « لقد تكلما الأوردن في العام الماضي » وهو
يشير بسبابته الى التراجعات الفارغة والسلطات «
« والآن ، جاد دور حديث العشاء » ، ومارك بيده

لا أول قبله ، أرجو أن يكون لدى الوقت الكافي للبحث في ذاكرتي بعمانية ودقة ، بينما استمع إلى قصصكم التي أحس أنها ستكون مثيرة للخيال ، رائعة » .
لم يترقب أحد على تأجيل دور إبراهيم لنهاية .. بدأ فؤاد .



كان في السادسة عشرة وكانت « فاته » في مثل سنه تقريبا . كانت صديقة لاخته ، تأتي لتزورها في بيتهم ، وقد تعرف عليها هناك . حلو ، رفيقة نقيته كريم العذراء . كانتا يسترفقان وفيهما من البيت أو المدرسة ، يتفحصان في قارب ساعة في الليل أو في الحدائق أو السينما ، يتناجيان في شاعرية ، وهما يتسنان المستقبل معا من الأحلام . كان يسمعه أن يرى وجنتها المتعبرين التافهين كالبين وهما تفرجان بفتة بحمرة الورد ، حينما يقتلس أحيانا ليلة وهي من فخر يدها . لم إذا هي تلف يده براحتهما الصغيرين ونفسهما بينهما في امتنان متورج جياش . فلا على هذه الحال حوالي ثلاثة أشهر ، حتى وجدنا أنفسنا يصحو في ظلام ليلة بين أحضان خادمة جميلة ومتعبرة ، جاءت عندهم حديثا وقد اضطرب للعمل في بيتهم « كمرية » بعد . خرجت من عبادة الطبيب الذي كانت تعمل عنده كمرسة . كانت في الخامسة والعشرين تقريبا . وسيطرت على نفسها ، عنف حمله لا طيق . بعد بفترة قليلة ، وبعد منها بالليل أو بوقت فرصة للآخر ، كان لها . اعطت عن فاته الصغرى . في هذا السنين متفرجان ، لقد كف عن مقابلة حبيبته . دون أن تطلب منه فاته الجديدة ذلك ، وهون عدم . لكنه ، بعد فترة ، تالي من الفتاة على مدرسته خطابا يكاد يتحرر بما فيه من الشك واللوم . كان أول ما فعله عند رجوعه ، أن قرأ هذا الخطاب على حبيبته الجديدة متفائرا ومحاوفا أن شعرها بتقصه من أجها ، فزقت هذه الخطاب أمامه ، وهو يضحك راسيا بهذه الفترة المشبعة بالحب ودفع الدلال وسرعان ما نزل الهمد الخفيف الذي كان يشوب . في السر . رضاء .

تكررت خطابات الفتاة ، وهو لا يستجيب لها ، حتى تحول الكتاب فيها إلى استعطاف خالي ألم نزف من ولاه مجروح ، ولا وجهت العصبية البرسة . والحرمان بحرورها والهانة تجلبها . أنه لم يعد هناك ما يمنعه من أن تحفر درجة أخرى ، مدامات رسالتها تتساقط مخلوطة ، لا رحمة عند قلبي حبيبها كطوب ميتة ، كتبت له رسالة جديدة ولهيت « لتزور أخته » . فتح هو الباب . ارتبكت وأصغر وجهها ، حتى خيل اليه أنها على وشك أن تسقط على يديها ، ثم ما لبثت أن تفرجت وجنتها بالدم ، وهي تفتح حقيبتها بسرعة وتخرج منها في لفظة رسالتها ، وكانت يدها

تصل إلى التناجج الخاصة به بتجميع العراق والشواهد . في كل مرة ، كان يراه أحيانا مع واحدة بالصدفة ، لم يكن يجرؤ على نحيته . .. وحال تلقى مجموعتها كلها ، لا يسمح إبراهيم لنفسه بالرد على أي تلميح مشيع بالربنية في معرفة قصته مع الفتاة التي صادفه معها واحد منا منذ ساعات ، وراهما كل منا في أوقات أخرى ، وفي أماكن مختلفة ، أو داخلها مع بيته أو بيتا آخر ، أو خارجا منه . .. الخ . .. القريب أنه وكل فتاة معه ، كانتا يبدوان حبيبين سعيدين ، لا أقل من عشيقين متفاهمين لن يفرقا أبدا !

حتى فاجأنا عصر يوم ، وهو جالس معنا يشرب القهوة : « يا جماعة ، أنا تزوجت اسم » كاته يقول « أنا نقديت اليوم »

وقبل أن نطلق عليه ما ينبغي أن نتبعه جملة التبريرية من أسئلة واستنكار ودهشة ونجاب ، سبقنا هو فاعطانا عنوانه الجديد ، وفوقه تعقبه بأنه سيسعدنا هو وزوجته أن يستقبلنا في اليوم التالي .

زنا في العيد وعرضا بعروسة . من أول نظرة ، يبدو هذه السيدة الصغيرة حملة جدادة ، لكنها تزاد جمالا باستمرار كلما فاض مرحا الهادي الحزين ! نعم لست أدري لم كنت أشعر أن مرحها يستلبي مني ألم مستقر في قلبها . .. أتتأبى اشتغال عليها ، منه ، فقد كان مظهرها . في هذه المرة أيضا . يتم من الوقوف والحب ! نظرة سريعة فينادي كلب / كاهية قمر والنعامة عن اسماء كثره . .. لم تعود . .. نداء لنا بأن « المسألة » كلها جاءت فجأة . .. فلم تكسر فرأينا نسوى الغرب الأورب لأن أنها لم حجب حديثا ، ولا شك أنه قد حطر لبعضنا أن يسألها : « من أنت ؟ وكيف التقيتما ؟ وما هي علاقتك به قبل الزواج ؟ » لكن السؤال ظل محبوسا ، بالطبع ! ، ولهذا شعرنا كلها متوترة معه فيما بنا لنا « مؤامرة » علينا أنارت فبرتنا منها ! وبقي هذا السؤال مطلقا في الرؤوس كسابقه . وإن كان هناك اختلاف واضح في هذه الحال . فهذه زوجته . ثم هو لم يعد بعد ذلك « يتجنب » ذكرها إذا كانت هناك مناسبة . لكنه من ناحيته ، لم يصب على ذلك السؤال قط .

لهذا ، وافقني الجميع في شفق ، حينما قلت ، « يلتجئ إبراهيم الجرناع » .

لكن إبراهيم التفت إلى فافتمع عيني بعينين فاهمتين مستكترتين لبعان من خلال شباب الخمر فوق حافة كاسه التي رضعها إلى فيه . فاستمرت « لأن اسمك يبدأ بالألف »

كنت أوقع منه أن يرفض مباشرة . لكنه أجابني متعابها وينسجما في بساطة ، وهو يبعد كاسه إلى القاعة : « خلوني للأخر ، لو سمعتم . أريد أن أكون أمينا فانقد شرط فؤاد : جبي الأول » وضحك « الذي

شقيق عليها ؟ ... المهم انه لم يذهب لمقابلة الفتاة في الموعد الذي عبرته له في تلك الرسالة الأخيرة ، ولا يعرف ان كانت هي نفسها قد ذهبت للقاء أم لا ، لانها كفت بعد هذا عن الاتصال به ، في المعرسة او البيت .

حتى كان عصر ذلك اليوم الذي كان جالسا فيه يتناول الغداء مع كل أسرته ، عندما اخبرتهم الخادمة دون ان تنظر في وجهه هو ، وكانت تحكي ببساطة عن حادثة مؤلمة ، لكنها لا تؤثر في احد منهم مباشرة ، بصفة خاصة ، ان الفتاة - صديقة اخيه - قد اكتشفت اسرتها صباح ذلك اليوم انها قد ماتت منتحرة بالفراش منومة . ثم انتحرت ؟ ولماذا في ذلك اليوم بالذات ؟ لا احد يدري .

كان ذلك الطير صدمة قوية لافاته مقلقة من أحلامه المظلمة .. كره الخادمة وصمم على ألا يسر ايذا جسمها المشؤوم كالكوليرا » .

كان يقلل باب حجرته عليه ويروح في بكاء طويل لا ينتهي ، حتى في نومه . العنين الى فتاته كان يوجع عظامه ، وسمعتها الواسعة واحلامها المسالمة نملًا صليبيًا بالحسرة واليأس .

اما الخادمة فقد سررت الحنة عليه بقدر طاقتها ، نجته وحاولت ان تنجيه حتى رؤيتها . لكنه يمرور القلوب ، بدأ يتسائل : لم لم تحاول الاتصال به هذه الخاتمة الممثلة . .. فمن نفسه الى وجد رليته فيها عازية ، فوق ما كان .. كان يقابلها بارادة كان هو نفسه ينجح لها . لكن مقاومتها كانت تطور يوما بعد يوم . وعرف أنها ان تصعد طويلا ، فالتقلب بصراحة ولي امرأة عبد الخادمة . ولم يندش الى لقي اخته هي الأخرى لتساق في اهانتها عن بعد - وكلماتها على اتقال صامت فيما بينهما - بل راحت تعرض انها على طردها .

وذا ان يوم فوجيء باتها هي التي قررت الطرود ، من تلقاها .. واصرت ولم تحاول امه ، التي كانت نعيها ، ان تبقيا . ذهبت وهي تودعه بمعين فيهما خباب ، ودعوى تركش دون كلمة .

لم يك يفرخ بشفه حتى ترك دمونه تساق . احس انه بعدها بقوة . هي لم تطهر ، ولم تسر الى احد . كانت كريمة منه وحنونا ، منها احب نفسه وعرف معنى همه ، وكان شوقه اليها حارا ومعلبا بعيت طفي على حزنه العميق على حبيبته المنتحرة . وهو الآن ، لا معلم بالبسيط لاي المتأين كان اول حب له ، وان كانت كل منهما قد تركت في قلبه آرا باقية كالندمة حتى الآن .



استمعا لقصة فؤاد ساكنين . اما انا فرغم الخمر التي كانت تسالل بهسود الى راسي فقد تذكرت



تنتفلي بشدة وهي نفسها في راحة / حلقها يحدق السرعة ووضعها في حبيبه ، وساق امانها صافيا في ثؤدة حتى حجرة الجلوس ، « نفسي ! ! » . ر. اعطاها فخره وخرج .. ا لم يخلص منها بصحبة اخته بسفك سمعها كما كان يمل . فقط ، مر امانها في الرعدة مرة ثانية دون ان يلتفت اليها . ودخلت عليها اخته .

لم تكد ترحب بها ، ثم تسالها عن سبب فيتها الطويلة حتى انهارت الفتاة . سمعها من الرعدة تجشئ شنيج واضح ، حاولت بكل قوتها كتم صوته . لم تعترف لاخته بشيء ، طيما . كل ما قالته تبريرا ليكانها هو انها مبهمة من اثر الاستعداد للانتحار ولا شك ان الفتاة الخجول المبروكة الكرامة قد خيل اليها ان اخته - حينما ضحككت في بساطة مستقلة لترفه عنها - كانت تغطي سخرتها منها لان مشاهرها السرية العجيبة قد تعرت امام عين صديقتها . وربما لم تكن مبطلة في تخيلها تماما . ثم دخلت غريمتها لتأخذ شيئا من الحجرة . وتلاقت عيونهما . ترى الهمت الفتاة من نظرتها اليها انها عشيقه حبسها ؟ الى الآن - كما يقول - لا يدري .

وعشيقته تجتبت الحديث معه عن الغداء بعد هذا اليوم ، بل وارغمته على ذلك . اكانت تغار منها ؟ ام



وجاء دورى أنا بعد فؤاد ... وعصني ناهله كان
يجب على أحسنكم وفيها ، وكنتها لا استحق أن نعاد
هنا
وعلى قدر . لكب اذكر الآن قصته كاملة وأن
كنت الذي نسجكتنا خلالها للسماته المرحه ، وهى قصة
جبه لزوجيه الذى اصر - رغم امراضنا - على انه
اول حب له ..

أما وجيه ، فكانت حبسيه الاولى بنت الجيران ،
بعض القصة العادية القديمة « احبها واحبته في حمى
لا تغلو احياته من فجبور - هكذا قال . ثم زوجها اهله
رغمها عنها وانجيب .. فاباها اخيرا في الطريق وحدها ،
بعد هذا الزمن الطويل . حاول ان يكلمها فافرقت
عنه ، فلها نسيته وهو بسبب من ذلك ، فاضطر مكرها
ان يذكرها بنفسه . لكنها « لوت بوزها » واسرمت في
السر ، تبعا . ولذا هى تتوقف فيصاة فتواجهه
وعيناهما تشتملان . فوحت بسمسية بمتاعها
في ميتة : « اسمع يا فتى . بلا قلة ادب . امش في
حالك احسن لك ، والا اناذى لك البوليس ! » وكان
صوتها مرتعا « ولغدارا » بحيث جملة يمشي في حاله
فورا ! .. وضعك على نفسه فشاركناه اسبكه فترة
ثم صمتنا جميعا مرة واحدة والتفتلنا مترقبين الى
ابراهيم .



صبا لنفسه كاسا ، ورفها الى فمه . بدأ كانه
لا يدري ان الدور قد حل عليه اخيرا ، وانه الآن ملتزم

كالوميس ، بمجرد ان بدأ في حكايته ، ان فؤاد نفسه
كان قد حكى لي هذه القصة لماول بموافقتهم وعنايتهم
(كما سردتها هنا) منذ سنين . وانى لي انها قد
حدثت لابراهيم ، وكان يبدو مرهوا . فلها لا قد اسطاع
ان يكشف بنفسه - ومونا عا . فلها سرسيا خفيا . في
حياة ابراهيم وهو يحملني جميل ابتاده لي بالفساد
هذا السر المكتشف . عرف هذه القصة ببقائه من احدهم
رونها لها صديقتها اخت ابراهيم ... وفقروا لانه
استطاع ان يلم شعنها بنفسه الى معنى فيصتها متكامله
وبروها !

على اى حال ، ما كان لي ان ادخل واحرجه
الآن ، اذ ، مهما يكن ، سواء كانت قد حدثت لابراهيم
ورواها فؤاد الآن ليقتصر بها « بطلا » (فقد كان واضحا
انه يلد له ان تقضى شخصية من تتحرر فتاة من اجله
ناسيا انه كان قد حكاه لي منسوبة لابراهيم)
ومحاو لا في نفس الوقت ان يقوم بلعبة سوداء ، فيتر
ابراهيم مواجهة وبقته .. . وسواء اكان قد فكر في
هذه القصة وعاشها زما جملة ينتزع ابها قد حدثت له
فلا ، ام انها قد وقعت له حقا ، ام انه يلقى بي انا
الاخر (وهو مالا استبعد ايضا) فان اللهجة المؤثرة
التي كان يروها بها لم تشغلني عن مراقبة انعكاس
الرواية باستمرار على وجه ابراهيم . قلت ملامحه
جامدة . وبقيت عيناه مركبتين دون تعب على شفى
فؤاد حتى انتهى . واستمر هو سادرا في صمته يرفع
الكاس الى فمه بين الحين والحين .

ولدت شاردة تحلق في السقف ، وإنه - على جنبى -
أرقب تكوين جانب وجهها وشعرها الفاهم بنسب
عظا من تحت رأسها إلى صدرها وإلى ، حتى رخت
في النوم .

« خطا وتكرر لغايئنا أن تجرد العقل من المشاعر
التي يصبها الكبار ، بل هو خطا أكبر أن نحسب الطفل
يصبها منهم . إنها - في نفسها - أعين والوى ،
وأخلص . بل يمكن أن تكون أبهى . على الأقل ، أنا
أحدث من نفسي ، وأن كنت لا أظنى اختلف من غيرى
كثيرا من هذه الناحية . كل ما في الأمر ، أننا ننسى
باستمرار ، كما أننا نتكبر - دائبين وعلى طول حياتنا -
على مشاعر أسننا ، وكأننا نرقى إذ نموسها في طريقنا
وتنطحها ! » . سكت لحظات وهو ينظر إلينا ثم افرغ
لنفسه كأسا جديدة .

« صباح اليوم التالي ، نزلت سحبي شغلا . كانت
عينها حما اللتان يتسمان لي ، وهي تطرني بيدها .
وحينما ودعتني على الباب قالت لي مبتعدة إلى أمي
في مرج :

« بعد الآن لثقت مستفدى معي اليوم يا إبراهيم .
سأطيع لك بنفسى اللوحية التي صنعها » . فردت أمي
صاحكة :

« اسمعي يا سحبي ، ألا تأخذينه على طول وترجعين
إلي ؟ » فضحكت سحبي ، وسقطت بولس .
سعيدة إلى المدرسة :

« يا ليت يا تانت ، ترصص ، يا حرمه .
بعد الفداء ، لم أكن أسقى جنبها على السرير
حتى سالتها ذلك السؤال الممثل الذي يفتت طول
النهار أكره فيه :

« أين أمك ؟ لماذا لا تأتي لك أبدا ؟ لماذا تركها
أبوك وتزوج تانت ؟ وتانت ، لماذا لا تعجب ؟ » .

لم يصنعها سؤالي .. وإلى لارى الآن يوفسوح
يراق عينها اللامع إلى التبرع عندها ودت على دون
تردد :

« ستفهمي يا إبراهيم ؟ » . شعرت كاني أكبر منها
وأوامت براسي مرتين في وقار رجل كبير ! لكنها عادت
تكرر :

« صحيح ؟ » . هزأت راسي ثالية في اهتمام ،

لما أ قوله لك يا إبراهيم لا أحب أن بقوله لاحدا ،
حسنتها معوه ، على لسر طافه ذراعي الصغرى
النهيتين . وقلت لها في حنية وأخلاص :

« لن أقول لاحد ! والله يا سحبي ! »

هكذا بدأت تفتح لي قلبها .

« وأنا أصدك يا إبراهيم . اسرف أنك تشبهني ؟

كنت أفكر في كلامك امسى وأنا نائمة وحدى بالليل ..
لقد كنت مثلك تماما ! ذكرت أياي وأنا صغيرة في
سك . كنت أدرك كل شيء أكثر من الكبار ، والناس
حاولي لا يمتكهم أن يخيلوا ما أفكر فيه ، وأنا أعرف
ذلك ، وأهرا منهم بيني وبين نفسي ! » . وضحكت من
قلبا ، « وأنت ، ألا يحدث لك هذا أحيانا ؟ »
وضحكت مثلها :

« .. يحدث يا سحبي ! »

« كأنهم لم يكونوا أطفالا أبدا .. » انظر إلى ! إلى
كبرت في عمري وجسمي ، لكنني مازلت في نفسي طفلة
مثلك .. نفس الطفلة التي كنتها ! ربما لهذا أرتاح
إليك أكثر من أي إنسان .

فرحت . وشعرت أنها أقرب إلى من أي وقت
مضي بالطبع ، أنا لم أكن « مبركا » لمشارفى كما
أصورها لكم . لكن فصلي لها الآن لا ينفى أنني شعرت
بها على هذا النحو وقدانك .

كان كلامنا صبا هو أهم ما في حياتنا ، كاللعب
بالنسبة للأطفال الآخرين . منذ ذلك اليوم ، راحت
سحبي تعطيني من نفسها وحبيها ، يوما بعد يوم .
لسبب أدرك الآن فاصل ما كانت تزويه لي ، وأن كنت
أفكر فيها بحيث تكون صورة متكاملة عن حياتها مع
أسرها . كنت أتمنى لها كالمجوز (مثلما شجنتني
روحها ..) . وأنى وأنى أن وعى لما
حول . .. ثم .. وأنى استمع إليه الآن . كتب
.. .. عيني موافقا ، كانت تبكي أحسنا
.. .. أو تفطحت ساخرة من نفسها
فمماض صحنكيا ، وبينما تجد تنقلب ما بين حاجبيها
وهي مسترسلة في الكلام ، استمع لها وأنا أومى براسي
على صبرى في اهتمام .

لقد ظلمت أمها وهي صغيرة - لا أظنها ذكرت لي
سبب طلاقها - لم تزوجت رجلا آخر كانت تتنقل معه
في عمله من بلد إلى بلد . أما سحبي فقد بقيت مع
أبيها بأرادته دون اعتراض من أمها - أن لم تغنى
ذاكرتي من هذه الناحية . كانت سحبي تذكر يوفسوح
وفي اتصال يوم غارت أمها بيت أبيها ، نشيت براءه
أبها ، لكن الأم دلفتها منها بنفس وخبطت الباب ورادها
وهي غضبي . صرخت وأتطعت تفتح الباب لحرى
ورادها ، لكن أباهما جلبها ورادها على الكتبة بتسوه .
كانت عيناها ترققان ، فكتت عن الكلام وهي ترتعش من
الرهب . ارتدى على كرسى أمام مائدة الطعام وإلى
براسه فوق ذراعيه شنتين على المائدة . بلى على حاله
هذه زمتا طويلا . يمكن أن يكون ساعة كاملة أو أكثر ،
وهي في مكانها من الكتبة رقيه . شعرت بالانشقاق
عليه لكتها لم تجرؤ على الحركة ، حتى رفع راسه
فأراها أمامه ، وكأنه كان قد نسيها . كانت عيناها
حمراوين دون دعوه . قام فأنجبه نحوها صامتا وأخذها

في حشنة وهو يستمسك لها ، وكان ينادي عليه الذحول .
الفجرت هي تنتشج في صدره وهو يريت على ظهرها .

انتقلت عنيتها من بلدهم لتعيش مع اخيها المطلق
وابنته الوحيدة في مصر . كانت تقوم بأعمال البيت
بينما الرجل في عمله وبنته في المدرسة . ظلت فهي
ستين على هذه الحال . اتمت تعليمها الابتدائي وانتقلت
الى المدرسة الثانوية . كانت عنيتها تدبرها على الشغل
في البيت بعد رجوعها من مدرستها ، حتى انتهى الامر
بان عنيتها كانت تدع كل شيء لها ، حتى تصود !
وتسعدك فهي - وهي تذكر ذلك في سعادة وتقول
انه كان يسعدنا ولم يضايقنا ابدا ! ثم انه قد نصها
وهي كبيرة . هاهي الآن تقوم راضية بكل أمية البيت
وحدها ، من تغلق نفسها وبنشاط وسرعة بينما كانت
ناقلة أو تزور جاراتها .

وبدا أبوها يعتاد - منذ ان طلق امها - ان يعود
الى بيته فلا يبيى الا ليتناول غذاه ويستريح قليلا ثم
يخرج قرب المغرب مرة أخرى ولا يرجع الا واخوته وبنته
نائمان . خلال هذه السنين كان يسمح لبيته - دون
معيذ - ان ترى امها حينما تاتي هذه الى مصر فتقول
عند امها : كانت فهي تلعب الى هذه الجدة ترى
امها يصحبه معها . كان يسعدنا لقاءها بعد ما يذهبها
لان الام دائما كانت تهاجر في مصر حريصة
في كل مرة على الا تلتد اناسها في مصر اكثر من ليله
نيسها ثم تقاد بعدها الى زوجها حمير وحده . لم
تر فهي هذا الزوج اطلاقا ، ومن زوجها الذي
اجبتهم منه !

وفجاء جاء عرس نهل عندها وانفجعت فهي عن
المدرسة الثانوية . وقد قال لي فهي في اسي نظيره
بمسكة ساخرة ، من نفسها كعادتها ، انها كانت لليلة
« ليلة » . الاولى دائما في الفترات ! وانها مازالت
هي الآن تحب القراءة خصوصا بالليل قبل ان تنام .
استقرت في البيت وهي لم تبلغ الخامسة عشرة .. وبعد
ذلك بشهر قليلة ، دخلت « ثالث » حياتها . ولم يفكر
أبوها لثانية في اعادتها الى المدرسة . كانت حريصة
على ارضاء أبيها حتى ان زوجها لم يجد منها ما يمكن
ان يسكو منه . كانت فهي تعلم ان أبيها قد اتفق
سبابة على بربيتها وراعيها دون ام لها نصيبه . ومع
هذا ، كانت تحب امها كما تحبه . نال شهورا تنتظر
اليوم الذي يغيرها فيه أبوها ان تلعب الى جدتها .

حاولت زوجة أبيها اول الامر ان تستفزها كثيرا ،
ولكن فهي كانت تحاول ان تربحها حتى استغلبت
الزوجة لهذه المعاملة الرقيقة ، وان بقيت فهي تهيئ
ان « ثالث » لا نصها . وكان أشد ما يضايق هذه المرأة
منها ان ترى زوجها يتم بلعنته امامها ، فكانت فهي
- دون ان يهيئ أحد - تحاول ان تجتنب نفسها فرصة
اهتمامه بها ، والنجيب انها كانت تحب « ثالث » هذه
وتقول انها معذورة !

لم يكن الخروج مباحا لها الا بصحبة عمتها اوله
ثم بصحبة زوجة أبيها بعد ذلك ، حتى وجدت نفسها
زهد الخروج ، وتفضل القيام بأعمال البيت بالتمسار
وزيارة بعض جاراتها أحيانا وخصوصا أمي لانها كانت
نحبا وأمي تبادلها التمسار ..

التمسار مما أيامة طويلة نحكي عن كل شيء وتذكر
اي شيء ، ليست أدري أو اذكر الآن طول هذه الفترة
اكانت شهورا أم اقل من شهر . لكنني ، في تلك الأيام
كنت سعيدة ، لا أحسب انها ستنتهي يوما ما ، حتى
كانت ليله : نزلت عندي فهي ، واصرت - رغم معارضة
أمي - على ان يسير معها . منذ تلك الليلة وعلى مرور
صحي ، اعلمت جبي الى شقاء .

اخبرني ان شابا غنيا تقدم لخطبتها من أبيها في
مساء ذلك اليوم وقد تم الاتفاق بينهما على ان تكون
الشبكة مع كتب الكتاب ، لكنهما لم يبعدا التواعد بعد .
فدعت له الفهوة واخبرها أبوها بعد ذلك ، قبل ان
ينزل معه بان هذا العريس مستعد لأي شيء ، غني
جدا ، سيتكفل بكل شيء ، عنده عربة وان كانت قديمة
يسبب فائده ، يعيش مع امه المرافقة فيها ، ولن تكون
العريس في حاجة الى اللباس اللازمة . كان يبدو
عليها اقربا بهذا التقدير . وقد فرحت بعد ذلك انها
لم تتر راضية بالعريس نفسه .

« يا أمي ، هذه الواقعة مدهشة . لم سكت مرة
سنة . » « يا أمي ، فترة طويلة » ، ثم قالت باسمه
وكانها تحدث نفسها : « يبدو انهم يستميلون الغلاص
من » . اذكر الآن ذلك الطريق الغريب الذي لم تقو
به عيناها من قبل ، وعبرت عن فهمه في حينه عندما
قالت : « آنا الأخرى استميل الغلاص من نفسي » .

« قلب لها محزونا : « طبعا انت مبسوطة يا صبي » .
اجابتي وهي مستغلبة على ظهرها تهمل في السكاف :

« والله يا إبراهيم ما أنا عارفة ! » . وفسحت
هائلة بنفسها . وخط لي :

« هو مولف ، افندي مثل بابا ؟ »

« لا ، ناخر ، لكنه افندي ! » . وفسحت وهي
تغلب على جنبها ، وبقيتني .

« ستأخذيني معك يا صبي ؟ » . نظرت في عيني
وقال يا خلاص :

« ليه كان بيدى يا إبراهيم ؟ » . ثم ابتسمت
« صحيح انك كبير في نظري » ، وقلبت ، « لكنك لست
كبير ! ما يكفي لأن ندراد مدق الى ليدى حنك » ..
طلع الحزن من قلبي تحييا في صدرها :

« سننسينتي يا صبي . سننسينتي » . ولن تسالي
عني بعد ذلك . « عمت راسي بقوة الى صدرها .

« سأتى الى هنا دائما ، وحينما تتراني ، أعلم اني لا آتى إلا من اجلك أنت » ، قلت وأنا لا أزال أبكى :

« أريد أن أتزوجك أنا .. ، إلا يمكنك أن تتخبرني قليلا حتى أكبر ؟ ! » ، لم ترد علي ، وإنما حوطني راسي بذنبي وسدوها وطرأها معا .

بعد تلك الليلة ، لم تنزل لي في الصباح ولم استطع أما أن أغرد بها ، وحينما كنت أصعد الى شقتها ، تفتح لي « نانتها » وتقول لي « نحن غير فاضلين ! » وقد تمنيت اني نكسها « لأنهم يأتين مشغولون بالفرح » . وكنت أرى ضحكي من الشرفة تخرج تترأ مع زوجة أبيها بعد الظهر .

كنت شجني ، حتى اذا أغردت بنعسي ليلا في سريري ، وحت في البكاء ، كنت أبكي من لطيف نفسي بالغمير في « صغري » حتى منه . كل ليلة ، كنت أضرع الى الله في سرى قبل أن نام أن يخلصني من هذا الصغر ، فأصحو الصبح لأجد نفسي تترأ طويلا صوني غريبي أجتى ، وموظفا أقبض المظلة أول كل شهر كابى ، فأقدم لطيفها من أبيها ، أذهب إليه في عمله ، فيأتي أبوها فياجتها طلبى كما فاجها خطبه ذلك الطفل . وعندئذ لا يطيع فرحها ، خصوصاً بمنزلة الجديد ، لم تنتقل لمينى في بيت أبيها وحده فدمدم شواها وسمر . لا يشترك معنا ثالث فيها أفصح اللولاب والبار في شفق الراسى كعبه وكلها ذات قوة مسخرة على البد ، وأنا مؤمن إلى سالبس بدلة وكرافة منها في الصباح .

ولكني ، كنت أصحو فاندرك على الفور أمتيني بالليل ، وبسرعة أمده بصرى على جسدى الصغر ، فيخبط املى ، كل صباح ، كنت أعجب على الله العظيم - الذى خلفنا من لا ندر والقادر على أن يحيينا - موتنا من جديد ، كما علمونى - أنه لا يستجيب لطلبى البسيط الذى لن يتبعه ، وعندما يحل الليل يتجدد املى فيه مرة أخرى .

ولما يتسب من استجابته لىلعانى ، استبدلت به وجاء آخر : أن يصفرها هي ، حتى تكبر معا . انظرو يوما بعد يوم ، لكنى كنت أعلم انها متزوجة على حالها . ولم أنال كثيرا لخبية هذا الزواج ، فقد كنت أحبها كما هي ، ولم يكن في استسلطاني أن انتخيلها في حجم سميجه . لم يبرطن بهذا الزواج إلا الياس والفتاد . ولهذا لم أعاقب الله على تعذيبه له ، ولم أنشيت به طويلا .

وقد استنكص ان أرى ذلك العريس وهو طالع او مائل . بدا لي مفرورا نالها سميجا ، أميل الى السمسة ، أطول بكثير من ضحى . وخطر لي مرة :

« هو أطول منها ، ومنى ، لكنه سيء جدا ، فلماذا بزوجةها هو ؟ . لأنه كبير ومعها فلوس ؟ »

واحبست - من مراقبتي واطيقاتي - أنها لن تستطيع معه بعد الآن أن تتحدث كما كانت تفعل معي ، أما هو الذى سيصعد لها أذنبا الرقيقة بكتاباته السمجة ينهى بها يله الأوسع الحمار . وكنت أنور عليها في نفسى عندما أنخيل أن وجهه الغنم سيحل مكانى في صدها .

أخرا جاءت ليلة عدد زواجها . كاتب آخر ليله أمام فيها على مريها . ظلمت مع امي الى الفرح ، الذى اقيم في صيوان فوق سطح البيت . كان العريس قد بدمل عليهم بنكب ورافسة ، وربما - ان لم تظننى اللاذرة - بعقنية أيضا - شفتنى ضحى عن صكبي الناس وفسجج الطبل وارتجاج الرافسة وهي تجوس وسط المتون . كانت جالسة جنب عرسها ، باسمه كطبيعتها تنبع البهادر حولها . الجمال الذى أصبته على رداها الاينى جعل ذلك العريس جنبها في بدله السوداء كالتفكس .

عندما لمحتني ايسمت وعدت يدها لي ، لكنى لم قدو على رد استجابها . وبليت متجها في مكانى . تذكر وهاولت أن يجلسنى جنبها ، والعريس يراقب هذا التفت عسى مقرب - كان ضحى نفسه ، لا شك ، أما لإنشاء دون تفكير - وفرت الى امي من النظر الى ضحى حرمها كان نظرها فيها متخرج للضحى من قلبى مدحسوحة - تلك الدموع العجيوبة فيه . كان ذلك الاشدى ممسك يدها من وقت آخر ، وهي لا تصرى ، ويكلمها سميدا بنفسه لتفلسه عليها وزواجه منها ، ويقلع : الحمار ! كان يتسم وهو يعمن عينيه في وجهها فينظرو دور جنبها هي على أستانته المظلمة . فلما كان بعدنا عن الضامه والبيع والشراد وحده في السرقة والكسب ، الله اعلم أى ناجر كان ! وكان الطبل يك لي راسى ، حتى نزل ، فحفظته وهذ غامب فيناتى . المصمتها دائما ، وأرجع أن ضحى قد احسنت فورا بأيمانى فقد اهدت على وجهها في وجهى ويداها برهاتنى من ابهى . الحت امي عليها أن تمدنى ولا يخاف على من أن انا . لكن ضحى أصرت على النزول بنفسها لتبنيتمى عندها . نزلت بي وهي برداء فرحها ! ، رغم استنكار امي والعريس والجميع دون أن يمنيا احد !

أوردتني على سريها وهي صامتة . والتقت عيوسا وهي تعض على - احسنت في تلك اللحظة انها يمينه جدا عني ، وأنى وحيد ، أصغر معا كنت ، هزيل ، ضعيف ، فاجعرت في تشجيع مري ، وانقلبيت محروبا اعنى القعدة . مدت يدها فهدت راسى برقة ، وانحبت فوقى لقبلى في جبينى كملكة . ثم أبدعت عني ، ينمها

طرف رداها الطويل زاحفا خلفها على الأرض ، واخلفت
خلفها الباب ، دون كلمة .. »

هنا ، توقف إبراهيم .. كان وجهه محتقنا ، وصوته
معترفا بالضعف يتبع التناقض ضللا . كانت كلماته الأخيرة
قد تدللت صلاحة ، رغم أن نبراته كانت تلبس جهدها
للخلاص من لعل الخمر عليها ، فهو لم يكف عن الشرب
طوال حديثه . وتنهّد بعمق ثم تراجع في كرسيه إلى
الوراء . اشعل سيجاره وراح يتأمل دخانها وهو
يصاعد ويتشرب في الحجرة ولم يحاول واحد منا أن
يقطع الصمت حتى سمعنا إبراهيم يأخذ نفسه بشهيق
عميق واضح :

« صحت على دموعي بليل وجعي ، وضوء الصبح
يتسرب ساحبا من شيش الشبّاك . كان راسي في
صدرها ، وأنامها تسوي شعري وتفرقه . سألناها
فلما ، وفي نائر ضحايا عني :

« انت بكين يا صبي ؟ » . ثم ترد ، ومسحت
دموعها بأصابعها ثم تناولت منديلها من تحت المائدة
فمسحت فيه . فسالنا نالقة :

« لماذا يا صبي ؟ » .

« لا أدري يا إبراهيم ! كنت أحسبني سأكون
سعيدة بهذا الزواج » وصعقت « لكنني لست سعيدة
يا إبراهيم !! » .

« تروى .. حب في عصبية :

« .. لا بد .. وسكت لحظة » « كم افنع
معي يا صبي احبه ؟ أرى ! لأنه سيكون زوجي ! حاولنا
لكنني اعرف الآن .. اعرف قلتي أنني سأكون سعيدة
معه ، وأن استطع أن احبه أبدا ! » . قلت في حماسه
وأمل مفاجئه يبرق في قلبه :

« لا سزوجيه يا صبي ! لا تزوجيه ! أنتي اكروه .. »
قالت في مرارة ، وهي شاردة :

« أبدا يا إبراهيم ، بل ينبغي أن أتزوجه . هذا
المفصل في الجميع .. » وطلعت متلهفة كأنها اسد
تنتهز للتحفة فجأة « لقد تزوجته الليلة بالفضل !
كتبوا كتابي ! » . واتتني جراحة ملاجئة ، وقد شعرت
أنها عانت فريضة مني كما كانت :

« أريد أن أتزوج أنا يا صبي .. ! » . مسحت
براحتها جبينني إلى أعلى فأسطحة شعري إلى الخلف في
عطف وقوة .

« لو كنت كبيرا يا إبراهيم .. لو كنت تهم ذلك!
هناك اشياء في هذا الصالح يا إبراهيم لا يمكنك أن
تطعمها إلا حينما تكبر » . ثم ضحكت وهي تريت على
خدي بأصابعها ، « والله يا إبراهيم لو أنك كبرت لكأنت
أمنيني الوحيدة هي أن أتزوجك .. » وهامت عينها وصوتها



وهي تعبت باناملها في شعري ، « ما اجمل ان اكون مع زوجي على هذا النحو ! »

وانقلبتي على ظهري ، تنظر في السقف فترة ، ثم
انقلبتي على جنبها ثانية .

« وای دم تحضر ! کتب لها » و نان یکتها آن
 نانی ، دلم کل شه ! « - وسکت فلیلا ، تم هزت
 رأسها هازنه ! لا ! کن مستحیلا ! ما کن لها ان تحضر
 فرح بنتها ! .. » وهزت کتفها علی العرائش وهی تضحک
 بمرارة « فرح بنتها ! » « تم کورت فی سفریة ،
 » فرح بنتها ! »

انقلبى عطف قوى عليها تنمنا لاهوت بعصية
شديدة .. جلدتها بحوى بيدي الصخرة فاستجاب
لهذا .. طوفاتها بلذاتي ولبها .. فمضت .. ومعدت دمي ..
انصس شعرا وانخلطه باصابعي كما كانت تظلم عيني ..
فلمست وجهها بين عتق الربيع وصدرى التحيل ..
شعرت اني اكبر منها .. انجس الختان لانها طفلة صغرة
ستتجنبني .. بقيت هكذا انجس بها بشعها .. ودومها
تسكب لي بصري .. وانا صديد ابي منها ..

ويقتة ، فلفست رأسها في مطوخة شعرها الطويل
إلى الحلق . وأطلب فوق ظهره . فصفدت في ياد
راحتها ذائفة بأصابعها المشددة خلفه . ونظرت
في عيني . كانت عيناها صفدت . رأسا متجاها . فمد
فوهة عيناها . الآن !

١٥ اجمع ما افول حيد .. يا اجمع .. يا اجمع ..
 بكر .. لكن اياك ان ساعد .. اسديها بونه عييد ام
 اجمعها من قبل .. ولا تهاجم زيد ان تقصيني او من سري
 كلماها في كياتي وتخرق الزمن ! يا ابي اعرفك كتمى ..
 انت نفسي يا ابراهيم .. وان كنت الهلي من نفسي !
 اسنع .. انا لست كترى ايت .. اهي همداء !
 استطيع اخيلا ان افكر بوضوح وقوة ايلي مافية
 بعيدة جدا .. فافيشها وهدي سرا .. فها وحى .. من
 جديد ! سهر زين طويل .. وقد تنسلي غيبة منك
 جدم ذلك .. ولكن .. حيتا يصحت فطاة وتذكرني ..
 كبير .. سوف يمتكك .. او لورت .. ان نيمت امانسا
 هذه حية في نفسك مرة اخرى ! وقد تدر ما لا تفكره
 الان .. انى ارى ذلك اليوم .. اسوفه على يمد ! استحيل
 لك ! .. كتي افرا القيب ..

حينذاك يا ابراهيم سواء كان يمكن ان اعرف ما
يلا أم لا لا يهم . . . بكيفية ان اعرف انت ان
« هذا » المسمى ما خلقته نفسي في الوجود ؟ ثم
تركتم راسي واغلبت علي فبرها ونظرت في الغمامة ،
« اما انا فاشهد الله ، بحق هذا الصبح اني سوف
الذكور طول حياتي . سيبقي دائما انفسى ان تكون اسعد
الناس وان يبقى نفسك طاعة ذكية - مهما كبرت انت -
ما هي الا ن » مثلي ؟ »

وفلح ابراهيم كلماته مرة اخرى. كان صوته يمدح
من صدره حاراً ، ويخرج من حنجرة كلها جرحه نثرها
يتبع آخر جرحه من دنايه ، ثم اخذ نفسا عميقا من ذبلة
بيجارتة ، ولتت كاشته ، وجملي وهو يتخطى ،
وعينا ليعلم . ثم اعطاهم من المتعاطف . كانت يده ترتفع
بوضوح . ومد يده الى «الاباجورة» في ركن الحجرة
فنهض عليها انه يحاول ان ينقذ من حائل غشاها الاثيق
المسدري الى «الصوة» المحترق خلفه . انظر الى ان يسه
فيسه حين فهدا بالانظر . اطرق براسه فوق صدره
وبدا انه صمب ولا يهتم باحد . ثم دفع راسه اليه بقوة
وافرق لشبه كلسا اخرى ، فكانت اخرها في التزاجية
الاشعة . انشعب عليه لانه لم يكف عن الشرط طول
الليل ، وقد بدا على وجهه الفسيفساء والحداب وهو الذي
لم يظهر اياما ابدا الا وهو سعيد نفسه . لكن
— الاخيرين — لم اطق ، وانشعب ببيجارتة جديدة .
وهجاء لصت فيناه من خلال شباب الغمر الذي كان
ندجها . ثم التبت صوته مرة اخرى ، وقد صار واضحا
للجريح انه يتولى جهما بلقاء به تفل الغمر على
لسانه : «حي يستطيع ان يتبع افكاره وينقل على
ساره :

لقد سبها نياماً ! بقيت ذكرها ماثمة في نفسي
وبخ القرون ! والان ! لاذا الان ؟ - يضطرم كل شيء
في القلوب ، كنار اسطورة ناهية ولا تعرفه !

١٠٠ - الأسماء التي قارب الخامسة والأربعين .
١٠١ - نحو : الأسماء التي قارب وكثيرا .

والحق أن سائرهم عليها مجرد أن أرادها ، وأن تلك
المراتب الجسدية التي تلهي عن توارث في نفسها الطفل
« الغالطة » . لا ، لا ، أن جمال جسمها لا يمكن أن
يشيخ عذابات تسكنه روحها ؟

حتى لو كانت في المصمين بدل الخامسة والاربعين
فاتي واتق انها سببى دائما - فبهي التي احببتها -
في الضرين .. !

ترى ، اشعرت بالسعادة مع زوجها ؟ اكان لها
ان تتزوج تاجرا ؟ .. ملا فمل بها تلك السنين ذلك
الاتي الذي كان سوء نفسه ينسحق التيج على وجهه ؟
اذا واتي انها قد اشعرت لمضى في حياتها شهيدة
تعطي نفسها دائما دون ان تتلقى اسداً ، ويسميتها
العاهرة تنشر الرضا في الوجود حولها ..

الآن اردك فملا عالم استطع في ذلك الحين . في
صدر فحي الم حارق مشعل دون ان لثم به ، يتجدد
دائما - كالنقاره - فلا يستحيل ابدا الى رقاد .

كيف يمكنني ان اتقل الى شعورك سحى كما
احسها فى هذه اللحظة ؟ لا ادرى لماذا اتخيل لو ان
زوجة ابىها كانت قد اصببت واحتاجت الى نقل دم



انها واضحة . هي نفسها ، بوجهها وجسمها ، كما كانت ، فقط ، على وجهها آثار تبيلة من أيام حزينة . لا يمكن ان يكون هذا وهما ! انها تملكني بقوة طافية ، كلها تسري في دمي ، 'نفسها' ! »

وشوق لها كما كنت بفتنتي . واشغل سياره حديده بسرعه . ثم اسرسل على نحو يشع ناته لا يلم الا نعله دون ان يمس ياعه حوله ، ويداب بعض الالفاظ تخرج من فمه مترنحه :

« لست ادري في اي مكان هي الآن .. كيف يمكن .. »

في تلك الايام ، كان زوجتي .. ا يكون لتساوبا رائعا ، ام سيكون على كل واحد منا ان يهزم نفسه امام الثاني حتى لا يفسد مآثره الزمن ، وماصنعه انفسا تحت قبة هذا النظام ، « المختل » ! .. لماذا ولاي حكمة اني كنت - وقتذاك - في الخامسة ، وهي - الآن - في الخامسة والاربعين ؟ .. لم يوجه «الزمن» مسيرنا بالقلوب ، وحينما تلتقي نجما دائما اوضاع خاطئة ؟ ! »

كان صوته مكتوها بكاء محبوس ولوعة حارة مخمورة امتدت الى يده التي انقيست ، فالتقي براسه المنقل فوقها ، وبسرعة نثر زواحه ثانية فارتد اصابعه كانه يلقى بشيء في الهواء ، ورفق برأسه . فليت كانه قد امسك الزمن وصفه في قبضته كالصبيبة ثم التقي به على الارض . بقى لا ينطق مايقرب من دبحه كامله وعيناه مشتتان امامه في الفراغ معناد . ثم لم يعد فاندرا على السيطرة على لبراته اطلاقا . « مهما يكن ، لا بد ان اراها .. لن يصعب على ان اجدها هذا العالم الحزين الصرير .. » واطقا سيارتي بعدا لي وجهه في تلك اللحظة وسط الدخان الذي كان يساعد من احوالها جميعا كانه يفقد ملاصقه حتى صار جزءا من الدخان ! وكانت هذه الصورة في مفاتيحي كالواقع ، لدرجة انه كان يمكنني ان اسأل متربعا :

ينفذ حيالها ، لكاتب ، نسحي هي التي متحتا دما حتى اخر قطرة منه .. حتى لو كان ذلك الماجر نفسه ، لما ترددت في منحه حياته وهي راضية . لا يهيم من نصبه لانها تعطي دائما ولو كان عليها ان تعطى الناس جميعا ، لا اعرف ان كنت افصح في تقربها من تخيلكم رغم اني اعلم اني عاجز عن التعبير .

لو فالتفتا بعد هذا البعد الطويل !

ماذا فعل بها تلك السيدي ذاك الماجر القوم ذو الوجه المشحون بالصفقات الدسيسة ؟ اني الهمه الآن . اعرف جيدا امثال هذه المخلقات الهـ

وسكت ابراهيم ليسترد بملحه ، « لكن ان سخرت صوته .. وهامت ميتا .. »

« استطيع ان اري نفسي الآن عندما انالها من جديد ! هاهي بدى ترعشي .. ! ستعيد خلق تلك الذكري على الصورة التي تربعنا نحن ' .. »

ستبقى تنسوي ان ترى جمالها الذي لا يفيى في عيني ! جمالها فلها ! ، السر البسيط الذي لا يدركه احد ! .. تعمي وجهها الطفل في صدرى رجلا قد تفررت زوحها ولبها امامه ، حينما احبها وهو صغير من زمن بعيد ! ..

هانا في الثلاثين قادر على اعطاء مايعجزت عنه ذلك الحين .. لو ان لي امكاني الآن ان اذيب الشجن القديم في قلبها .. لو استطيع ان اسعدتها ولو فترة متناحرة من عمرها ، كما اتلفت هي عمرها في اسعاد الاخرى ' ..

محبوب .. ! في هذه اللحظة بالذات ، صهي صاحبة - والناس نيام ، والفجر يقترب - مستلقية على ظهرها ، لا تحلق في السقف كما كانت تفعل في ذلك الوقت ، وانما تنرح شخاتها مبتسمة وتقر في عيني .. ! انها تراني الآن ، لتحسنى ! انا واثق من هذا .. كيف ! انا نفسي لا اقدر على تفسيره او التعبير عنه . ربما لاستطيعون ان تتلبوا ذلك . لكني واثق انه حقيقة .

وكان فؤاد قد تركنا في الحمام وذهب الى المطبخ ليصنع
قهوة ناعمة .

شرينا القهوة ونحن نتبادل النظر . وقطع وجيهه
الصمت في ود وتعاطف :

« اتركت الآن يا ابراهيم ؟ »

كان ابراهيم قد تغير وجهه واختبف الانفصال
منه ، وكان - قولا الابهال الشديد الذي اعمل ملاحه -
يبدو في حالته العادية التي كان عليها . . .

انفجرت شفتاه من ابتسامة شاحبة ، وقال ،
وكانه يحس انه قد تورط في خطأ كبير لن يفره لنفسه
وسيجعل من الضرورة ان يعتذر عنه :

« يا جماعة انا ضلقتكم . آسف جدا ! »
لم احدثي في الصمت . انتقلنا فوراً الى موضوعات
بعيدة ومرحة حتى ننقل انفسنا الى حالة اخرى
معتلين الفكك . اما ابراهيم فقد رسم على وجهه
بسمه تجاوب حامدة ، لكنه لم تفلح في حجب التهم
الطاني على عينيه وتروود نظرتهم .

لم يكذ آخرنا ينتهي من شرب قهوه ، حتى وفقت
اما قلب في لحيمة خطابية مدافية :

« لنفكرنا عظيما يا فؤاد على هذه السورة الخالدة »
وانتظت له « اريد ان اقول هذا بالاصالة من نفسي
ومقلتنا من الجميع . وايضا ان تجيء السنة القادمة
تكون السنة مزحة . متفان ان شاء الله . وحيثك
يتم عليك ان تجرب عير نعمل منه مما
تألفنا الجديد » . كثر في جيني وقد بدا عليه انه قد
عقل اني اهتمت كثيرا آخر في ما اقول ، لكنني الصمت:
« كل سنة واسم جميعا طيبون » . وقام البابون
صاكن .

اصطحبنا فؤاد حتى باب الشقة . وفي الردهة
نبادلنا بعض الملاحظات الهزلة ، شارك فيها ابراهيم
في سرعة وذلك بمعدرة ذهنية مثيرة رغم الدخول البارد
في وجهه وصوته ، وبرق هنيهة تعديا للنم والانهال .

فدعنا استقبلنا الهواء البارد الرطب المشبع
بالضباب ، كان صريح سنة جديدة يوشك ان يطلع على
الكون . مشيتا نحن الاربعة جنبا الى جنب ، الضامتا
الثيلة تقرب ارضي الرصيف بالتظام فترد صوتها الى
اذننا كاله صدى ! كنا نغمي دون ان يقتحم احد منا
هذا الصوت بكلمة . حتى سمعت محمود - الذي كان
يسير على يميني - يقول ملتقا - عبري الى ابراهيم:

« ابراهيم » اعتقد ان ذهاب الليل على ضوء
الصباح عملية وهمية هي الاخرى كاطفاء النور وفتحها
هه !! » . وفهقه .

بدأ في سؤاله جد ساخر ، رغم الهزل الذي ليست
لهجته . لم يكن في نيته قطعا ان يؤذي شعور ابراهيم ،

« يمكن ان يسر وجهه وسلاتي بعددنا مع الدخان »
(وقد عجبت لهذا التصور فيما بعد ، لكنه كان طبيعيا
بالتنسبه لي في ذلك الوقت) . ومال ابراهيم الى الامام
وحقق جسمه ، فاحسب غيابه عني ، وخرج صوته من
تحت وجهه وثيما ملبوحا :

« احس الآن اني سالتني بها عرضا ، دون تدبير ،
وقريبا جدا . حتى بالضيغ ، واين .. ؟ لا اعرف ..
صوتها ينشئ في قلبي نائين حاد .. انها سالم بتسمه
وهي مضحك .. ! سادس ! .. وعندما تلقى ، لا يح
ماسحبت - .. ! ان افكر فيه الآن ، سباحاول فسر
طائفي ان افرسها من رضاءه الاليم .. انه .. اشعر
اننا لن نفتقر اندا » .

كان ذلك هو نص كلام ابراهيم ؟ .. يكاد يكون
كذلك ، فهو محفور في ذهني على هذا النحو . لم يكذ
ينتهي كلماته الاخيرة انني خرجت من حلقه كاللهال ،
حتى نهلي ومضى مسرعا - وخطواته تتراجع نوعا - الى
الحمام . وكما لو انها سمعنا يقه .. جرينا اليه .
والفطنا حوله . حاول نادر ان يمسك برأسه ، لكن
ابراهيم ابعد عنه يده ، واتكأ بجبهة على مرفقيه
فوق مفبى الحنية المفتوحة ، وراح احشاه ذاهبا
تدافع خارجة من قلبه في موجات ملاحه ، يصدره
صوتا غير بشرى كخرجات مصروع ولكن مقلقة . وظل
فترة طويلة لا يصدر مع هذا الصوت من مقله غير
الوواء .

اخيرا ، دج معا الى العجز ، فارتد الى يده
عاديا وكأنه لم يستند فوالجس في كونه .
الخلاف ، وجلسنا نحن دون ان يلتقي واحد منا بكلمه .



اسأله : أحدثت له أم حدثت لابراهيم . ولماذا كذب
قطعا في إحدى المراتين ، على الأقل . لكنني استعنت
بفسى ، لأخشيه أن أحرجه - فهو قادر على تغطية موافقه
دائما ، وببراعه ! - بل لاني أكره هذه المواقف
الصغيرة .

وكنتم اعلم ان فؤاد يربط بابراهيم على نحو
غريب : يغاز عنه ، ولا يستطيع الاستغناء عنه .. !
وابراهيم لاشك كان يفكر ذلك ، ومع هذا كان يعيل
اليه ، يعامله بود كنت احس انه ينتجم عن عطف خفي
عليه . ربما كان هذا هو الباعث على نفوري من تعليق
فؤاد .

وسمعت وجهه يقضى المسأله :

« على أي حال ، راح كل شيء في الحوض » !
اجفلس ، وانعلقت فمضا ، ولا أدري لماذا تعلقني اسي
عميق كاد يكتني ..

حينما التفتنا بابراهيم بعد ذلك ، لم يحصل
واحد منا أن يقترب من هذا الموضوع - وخيل الي من
سلوك ابراهيم معنا ، انه يكن لنا الامتنان على هذا .

وجدد ففسى ارباب فؤاد ازاء ابراهيم ، خلسة .
اتصرف - رغم ايماني بكل ما قاله ابراهيم ، في اول
الامر - بسى لم اسطق التخلص من تأثير رأى فؤاد
وكي . لقد اطلع في جملي اشك ! ، تسادلت : « لم لا
تكون القصة التي رواها فؤاد عن نفسه تلك الليلة ،
قد جعلت ابراهيم حكيما ، وأراد فؤاد ، بهذه اللبسة
الخبثية ، ان يصدمه بصرية « اسأله » امامه فؤاد ،
فلم بعد ابراهيم ما برد به عليه غير ذلك الانقسام ،
بالسخرية منا جميعا على هذا النحو ؟ ! » . لكنني
رغم ذلك كتب احس انه ارقى من ان يدع فؤاد يجذبه
مه الى هذا المنحدر .

ثم ان ابراهيم لم يكن مولعا اطلاقا بان يعطي
نفسه بهانة من الاسرار كما يظنون ، فهو بسيط كالنمل .
واتما هو يحترم الشعار - خصوصا مشافره هو -
كانها حرمات مقدسة - الى درجة انه يمتنع ان يفتك انذارها
بالتعليق والسخرية . ان ، ما الذي جعله في ليلة
رأس السنة هذه بالذات ، يندفع في التعبير عن قلبه
امامنا - دون ارقام - بهذا الانفصال القوي ؟ ! ..
كيف ؟

والذا هو لم تكن له أية علاقة بقصة الحب التي
رواها فؤاد ، فلم خرج فمضلا على « قانونه » تلك
الليلة ؟ ..

وهنا ، لم اسطق تجنب التلألؤ : « لو صحت
تلك القصة ، ماذا يمنع أن يكون فؤاد قد صدق ،
وقد وقعت له حقا ، بينما هو من ستنين قد كذب
على ؟ .. » ونحو فؤاد نفسه الى مشكلة بالنسبة



لقد كان يسخر منا ، نعم ؟ .. وجد نفسه
محاصرا ، عليه ان يحكي قصة حب مثنا ، والواقع لم
يكن ليثيل أن يخرج على قانونه . فها هو يقول :
اسأله القصة الخيالية
كان يؤلها بصوت مرتفع ليحرق بها ذلك الحصار
المضروب حوله ! ، لكنه تدمسها وهو يحكيها ، كان
يحياها كأنها حقيقية ! .. هذا رأى انا .

صحت فيه مستكرا ..

« لا يا فؤاد ، لا ! ليس هذا ابراهيم اخلاقا ..
وانت تعرف ذلك جيدا ! تعرف جيدا ، اسمع ؟ . كان
يمكنه ان يرفض ، أو يتسحب ، حتى قبل أن يستمع
الي « اشراقات » أي منا .. » فهاضني نادر :

« لا ! .. ما كان يستطيع ان يتسحب .. الفخر
كانت سرى في عروقه حتى نصف الليل . اكان يقدر
عندك ان يتوقف من الشرب ، والفخر تلهب عطش دمه
اليها ؟ .. يرسل ، مخلقا وراة الويسكي ، لك ذلك ..

قال فؤاد وهو يتسهم :

« كل ما يمتلك أنت هو الويسكي ! ، انا عارف
لم التلت الي ، « اسمع ، ليس في كلامي أي اسائة الي
ابراهيم . نأكد ان هذا رأى وآنا واثق عنه » . ثم
تسأل في ثقة بقوة حجته : « فلماذا انكره ، في حين
انك لم تنظر ضد ما قاله نادر ؟ ! »

خطر لي في هذه اللحظة ان اواجهه بقصته هو ! ..

يمكن ان يتخطى قلبه عنها ، فيتركها كالخيرات ، لو كان لقائه بضحي ، على النحو الذي احسه في تلك الليلة ؟ ... مستحيل ! ما كان لي ان اخلق هذه الفكرة ، فكنت انفيها بان ابراهيم نفسه قد خرج على طبعه عندما حدثنا عن ضحي .. لكن ! ، ايمكن ان يصحى مع الاثنين بهذا الاستثناء ... ؟

بل اسأل : في استغالي على هذه الزوجة الى حد ان اسأل : من يدري كيف سيكون لقائه بضحي ؟! لم لا يؤثر زوجته الرائعة عليها ؟ ... لم ما يدري ان كان سيقتلي بضحي على الاطلاق ؟ ...

لكنني حينما لا اذكر زوجته ، يحتلني احساس غريب ، مائه « سوف » يلقى ضحي حتما ، كالنساء ، وكما كانت وهو صغير ! ، كيف ؟ ...

بطلت مرة ، كان الزمن قد استحال بينهما الى مجرد مسافة ، كالطريق طويل ممتدة فوق جبل . هو ندف عند نقطة في طرف هذه المسافة هنا . وهي واقفة عند نهاية طريقها الثاني هناك . ولهاجة ، ودون تلميح طبع فرأها .. يترج من قلبه اليها نداء كالنواء .. يمر هذا الصوت المسافة كلها في لمح البصر ، ويصل في لحظة ، هناك . فاذا هي تقدم نحوه على هدى هذا النداء ، فاضمة هذه الطريق التي بعدت طولها خمسا وعشرين سنة ، ودون ان يتغير كيانها وشكلها انشأ مسيرها اليه بفعل القوة السحرية لذلك النداء في هذه الاثناء ، اي قوة - غير الزمن - ... من حرواق دمه تلوذ راس السنة - قادرة على ان ترتد الى الوراء ، فائزة فوق طهر الزمن بالقلوب ، فتصل في ضحي هناك ، لتعطفها ، بحبيبة عليها كما هي ، في العشرين ، خمسا وعشرين سنة ؟ ! . وهنا ضحي لي : « انه لم يحب قهرها فعلا طول حياته ! » .

قد يبدو هذا غير قابل للتفهم ، وغريبا . لكنني لم احس بغربة فيه ، ذلك الوقت ... بل اتى ماثلت ذلك الى الآن ...

حتى الآن ، ليست اعرف كيف ومتى كان او سيكون هذا اللقاء . فقد عرفت مقدما اننا لن «نفر» يقينا ابدا ، ولن يتكلم « ثانيا » ابراهيم ...

الآن ، لم بعد ذلك يشغلني كثيرا .. لم بعد بقلبي التفكير في ابراهيم او فؤاد . واكتفيت بشعوري ، واتى لامحز حقا من التغيير منه ، لكنني استطيع ان افهم ان ضحي قد اسقرت في روعي كأنها سكنتها . ولم اعد ، بعد ، احاول تخيلها ، وتتمت بالصورة التي أثرت في ان تتراقى لي عليها .. كتجم حي ، ذلي ، وبعد جدا ، لكنه شبيه ، تليق من امامه جوانب الارابي وهو لا يلبس .

لي . فملاقاته مع النساء كلها فاصرة على البقايا ، لا يجب - كما يقول - ان يصيب نفسه الاثنين في « الحب » ... ولهذا لم استطع تخيل التوفيق بينه وبين قصة الحب التي رواها : بدت لي كبذله مفصلة على يد ابراهيم . حتى وهو ينسبها لنفسه ونحن مجتمعون في تلك الليلة ، بقيت اتخيل ولكابه ابراهيم .. ومع هذا ، ليست واقفا تماما من اني لست مضطرا ! نعم ! فمن يدري ماذا يبيعه الزمن او يفرض فينا ؟ . كان لي امكاني ، بنفس النظر عن كراهي لاحراج الناس ، ان احاول القضاء على هذا العنق بان اغسود بؤواد واستفسر عنه برفق ، لكن .. - لا اعرف كيف اشرح هذا الشعور ، بله التغيير منه - لكنني قد استمرت هذا الفلق ! .. شعرت انه المني من ان افعله بيقين رخيص .

هكذا نجح فؤاد في جعل ضحي يصور .. حتى النشيطين بابراهيم . لم يكد يجلس معنا فترة ، وانصت في عينيه وهو يتحدث ، حتى ارثته الى شعوري بمدى كل ما قاله في تلك الليلة ! ..

ولاحظت من مراقبتي الخفية لفؤاد طوال جلستنا هذه ، ان عينيه مركزة على ابراهيم وهو يتكلم او يتحرك كأنه يريد ان يقتصر بهما . وقلت في نفسي : « انه لا يقل عني ايمانا بكل كلمة نقفها ابراهيم ! »

وعاد لي يلقى بان ابراهيم سيلقي بضحي من جديد ... حتى اني لساملت نفسي بـ « كيف يكون المعاملة ؟ » . في هذه الاثناء ، في « بصر » ... وكان يسلم ، فسلط لي بضحي بصر شرس ، في حاله احسن لك ، والا ابادي لك البؤليس ! .. كبت اضحك ، رغم سبقي بهذا الحاضر الذي نطاول فيه ، فاجذب لعتي الى السائل وعما مني : « فاما ان تكون مغالطتهما بهذا الشكل ؟ ! » .. لكنني واقفه فورا ، دون مناقشة ، وباستنكار ، لنفسي .

لم نعد ، بعد ذلك ، نتكلم عن ضحي ابراهيم . لكنني ، كثيرا واما وحدي ، كنت اضمن التطلع فيها ، واحاول ان ارسما بخيالي كيف تكون : عينها ، تقاسيم وجهها ، شكل جسدها .. فلا استطع . العجب اني ، في كل مرة حاولت ، اجدني - دون ارادة مني - اذكر القاتنين اللتين حكى فؤاد انه قد اجبهما ، انفيهما مختلفين «عما» على نحو لا يمكن وصله ، ومع ذلك ، وافصححتين بملامحهما ، كأنني اسهما ! ..

وسيطر على عقلي « واقعة » لقاء ابراهيم بها ، صارت بالنسبة لي كموقع متعدد بين التين ، اجعله من هذه الناحية ، فكرة واحدة كانت تفلقني ، فاراهم كما كنت اعرفه - لاجلهم بواجدة الا الحب ، ولم يكن في طعمه ابدا ان يحب اللتين . وهو الآن ، مزوج تلك الجملة كالخيال « بمرحها الحزين » .

حکایات صغیر

بقلم : عبد الحکیم قاسم

- الفتاة العمياء
- من عدلى إلى الإسماعيلية
- في تلك القبيلة البعيدة
- عند بائع الأكفان
- وجوه في الزحام
- لن يعود أبداً
- عن الذباب





الغداء العشاء

الرجل مثل بكاة حربية ، والامرأة مثل
والأمعاء الصغيرة مترية بخواب اسب
الاسفلت بداها مسوطتان على روكبها دابلتين صغراوان
لا هيون ، حفرتان عميقتان مائلتا الرموش ، فيها
واسع وشفاها مطوختان عليشان بالتوتير .

ترتل القرآن كنفوغراف قديم ، كل انبهاها مركز
في انبهاها وهي متصلة بأسفلت الرصيف الصلا وثيقا ،
تترع عليه وجسمها الزهف يلتقط بسرعة فائقة كل
بامة يحيل بها باطن الشارع وينقلها بسرعة فائقة الى
الديها فيبتور جسمها كله وتمتلي بالترقب .

فرما في هذه اللحظة بختل نظام هذه الخطوات
قليلا ثم تلتكا فيانها هتية لم يسقط قرش في حجرها ،
هنا فقط تتحرك بعدها لتلتقط القرش وتقلب به في
جيبها لم تنظم اقراها مرة اخرى .

وهكذا ، قلب مطوط ملا نهاية ، تقطع لحظاظ
المرقب تلك التي لاند القروش دائما ، بل غالبا ماتمضي
الخطوات مصممة ، غير مبالية وتموت هذه اللحظاظ
دون ان تعقب .

واللزام الذي بلغ مسئولتنا الصغيرة سناخن
خائق ، التصق وركاها بالرصيف النصالا
مشوقا ملوفا ، وارهقت انبهاها وتناول راسها المنقوه
الهيون واضطرت ، كان ثمة خطو بخلق في احشيسها

الامرأة مثل بكاة حربية ، والامرأة مثل
والأمعاء الصغيرة مترية بخواب اسب
الاسفلت بداها مسوطتان على روكبها دابلتين صغراوان
لا هيون ، حفرتان عميقتان مائلتا الرموش ، فيها
واسع وشفاها مطوختان عليشان بالتوتير .

لكن في ذلك اللزام كان ثمة شيء يموت ، كلمات
محنته ولهفات مريض ، ليس الخطو الذي يحيل به
الرصيف هو الذي يعنياها هذه المرة ، إنما تلك الكلمات
المختلطة التي يحلفها الهواء الى انبهاها ، ياله من عالم
مبهم ، الاشياء تتحرك في اللزام دون أن تتعبد سلالا
ما ، نحدث اصواتا لكنها لا ترى .

.. انا هموت .

.. الشر يبعيد ياخويا .

صوب رجل لاهت مقطوع النفس ، حزين كعديب
الندابة ، والمرأة ، لها زوجها أو أخته .. هي ..
الناس يموتون كل يوم ، لكن ... هممة بعيدة من
الانبها ، لكنها فشلت في التفتاظ بقايا الحديث ، فرق
في ضجيج الشوارع ، ازدادت شفتاها توترتا وقلبها
حسنا فللا .

ثم مرة اخرى واصبل ترتيل القرآن كنفوغراف
قديم وهي تهر جسمها هذا مع القراة وتحكم اتصالها
باسفلت الرصيف لتلتقط الخطوات القادمة وتتصيد
اللحظاظ اللينة بالترقب والتي قد تد في حجرها
قرشا .



عن علي إلى الاسماعيلية

هذه النظرة مفروسة في أيام حياته كلها ، لكنه الآن مات ، وهامى المنة تفرق كل شيء ، والكراسي الكبيرة مسطبل مساندها تنواهد القبور ، وهو وحيد هامد .

يجب ان ينم ، فان عليه ان يسافر مبكرا في الصباح ، وهناك سيكون وقورا هادئا مكتس الوجه بالاسي ، لن يبقى ، فهذا لا يليق ، لكن ربما سكب دمعته في نمل الوقوع ، على أي حال سيكون مسوومه عيضا متهدجا قليلا ، وسيامر كثيرا من المحيطين به ، وسوف تطلق أحبال الصباح ، وترى الكراسي ، وينطلق صوب القري ، وسيدفع تكاليف كل شيء ، هو لهذه الغاية يعمرها ، من لها سواء ، من يوم ان خلقه الله ، وحينما يوغل المساء سيكون جالسا في ركن من أركان المكان ذات العيش ناعلا حزينا ، وهو هناك في القبر ، يحضر كرسيا في ذات اللحظة برفان ملك انظره الرافعة التي تحيا في كوتى شفتها تلك الابتسامة الهائلة ، يلاحظ الإنسان الرقيب الذي ضمن كل لحظات اسفاره . ينال البهجة ، وتلك الابتسامة ، تماما مثل ذلك السوم ، حيثما جلس الجميع على الكراسي المروصه الى جوار الجيطان في بيت الأسرة الكبير ، وهو يحكي كيف توسط له عند المدير وكيف حصل له على عمل مناسب رغم انه فشل في دراسته ولاملك شهادة ما ، ثم كيف سرى مخازن الشركة وباع المرفقات وأنفق ثمنها على ملاحيه واصحابه السيئين ، وبالرغم من ذلك لم يقدم للمطامعة ، فقط فصل من عمله . اكرا ما لظاهرة هو .

كان يحكي ، وله كل العيون وكل القلوب ، لكن اخاه كان يرمقه دائما مستهتما .

ذلك الإنسان نصف المجنون الذي بند أيام حياته ، لكنه اشترى كثيرا من الكراسي ذات المساند ، ووعدا للطبخ يصغر حينما ينفج الطعام ، وزوجته تمتلئ عيونها بالرعب حينما تنظر إليها ، وأولادها مغرورون بالجوائز في المصول .

لكن يبدو انه لن يصيب شيئا من النوم تلك الليلة مع ان سفرة الصباح طويلة شاقة ، رأسه جافة ومغصه يثقل بشكل يكاد يصل به الى الجنون ، ثمه خفا بشكل از باخر ، لكن أين ؟ ولماذا ؟ يجب ان ينم اسفرا في الصباح ، يجب ان ينم .

المسافة قصيرة كملة اليمن ، فهو قد روى الرجل الاصلع الجالس خلف البنك العالي بلهفة ونوع من الخوف ، والرجل اشهر له على (الكابينة) التي يتكلم فيها ، فاطفئها خلفه بإحكام ، ثم رفع المسماع الاسود وبمجرد وضعه على انه جباهه الصبوت من الاسماعلية .

— آلو .

وارتعد من المفاجأة .. لكنه رد بسرعة .

— اخوك مات .

ونفكر كيف تمت المسافة بهذه السهولة ، انتباه ارياح ، كان تصور نفسه مسعد جبلا هاليا .

لكن في الاسماعيلية كان الليفون الاسود يتقاطر على المندمة الصفرة كظل ملسوع ، جرى الرجيل والخط السماعة لهذا الجهاز في مكتبه .

— آلو .

— اخوك مات .

— لا حول ولا قوة الا بالله .

وضع السماعة في مكانها وسبح (نكه) صغره ثم فرق كل شيء في الصمت والتمتع ، الكراسي الكبيرة والمتنوعة والنجلة ، الصباح الصغير الساحر بلقي ضوءا شاحبا على رؤوس الأشياء ، رجع الى غرفة نومه شريط باهت من الضوء يشق السرير ، امراته تحكم مناعتها على نفسها حتى لا تبتري من جسدها شيء ، افلق الحجره ثم عاد الى الصالة ، جلس على كرسي كبير ، كان من المفروض ان يدخل الآن سيجارة ، لكنه ممتنع عن التدخين من سنين طويلة ، أولاده يظنون في نوم عميق ، صوتهما ياتي من غرفتهم هو وحده الذي أحس بمصافة الفصحيج تحتاج الشقة في الليل ، ثم (نكه) صفرة وتفرق كل شيء في الصمت من جديد .

عليه ان يسافر مبكرا من صباح القد ، الا انام قليلا ؟ لكن كيف ؟ لقد مات ، هكذا ختم الموت هذه العجاية ، غريب ، الموت دائما ختام غريب لكل حياة ، بصيونا بالحرة والخوف ، ترى هل يموت هو الآخر ؟ حقيقة ماردة كالنخل ، ظلال حائلة السوداء وقنع شاحبة من السواد واقعة على السجادة ، الرسموم تتلوى والورد تنظ اشكالا غريبة ، ترى هل تبع الموت في دفن تلك الانسانية والنظرة المسهجة المرافضة ، ظلت



في تلك الليلا البعيدة

قديم أمام ذلك الكتاب النبيل الجبهة وخصلات من
شعره اللامع تسدل عليها في جمال .

— اطلع من مصنى !!

كان الصوت يرن في داخله ونهسهزه الكلمات غر
المنقولة بمنف لحدت للتحاف .

— اطلع من مصنى .

— ليه يا حفي ؟

— انت كتاب . وذاكرت كتابه .

— ودبها للمعاسب .

— انت تصحك بالمعاسب والمعاسب وعلى وكبير
البيضة وعلى الفيا ببالها .

— أقول انه أنا في الكلام ده ؟

— ماقولش حاجه . اطلع من مصنى . روح
المصنى .

— مني شاك يا حفي ؟

— مني شاك يا حفي ؟

ومش خارفاً ولول جلبابه يفتق على كعبي حذاء
الظلمن باعته .

هكذا خرج . وبلى مصرها باب غرفة النوم في
ذلك الليلا البعيدة ابقيش من وواله . ومشى الحاج
في ارجاء المصنوع ودخله . نحت للمعاصف — يهتز
بالانصار — وهو شامل وجوه العمال المنهولة التخطيه
بالحره بعد ان ابدع رئيسهم . بعد ان فطمت الرأس
الكدره . الآن فقدوا تافهم القدم . الآن يتحسرون
محضن ملا لتمام .. لم بعد الالهام يصدر لهم من حجره
المخزن .

كان يقلب صندوقاً ويجلس قبائله طول النهار
برقيه . والعمال يدخلون ويخرجون كاسراب النمل .
لا تكللون . وهو جالس على مكتبه لا تصدر منه نامة .
ولكن نمة لفة . غر منطوقة . نمة قرون استعمار لمر
مرنية . والفضك لاكل احشاه كدبدان قارصة سامة .

— الايراد صلا التبي حلو اوى النهارده يا حفي !!

برى ماذا يعني هذا ؟ ماذا يدبر لخدده ؟ يتعنى
لو يهب والمها ويجرى في كل اتجاه .. ويقيم هراسا
على الابواب .. ويضبط السرعة . ويطنه بزجاجته

بالرغم من ان الجسو لم يكن باردا الا انه كان
معمداً على ان يحكم اللحاف حولة حتى اكافه . وبالرغم
من ان الفراش كان وئرا الا انه لم يكن ينام الا كاما .
وكان يقضى الساعات الطويلة يتأمل مصرعي الباب
المظلمين . وفي تلك اللحظة دخلت عليه زوجته :

— الكتاب مات .

لم يدرك ماذا قالت . ظل يتأمل وجهها دون ان
يكون في راسه فكرة واحدة لم يدا تصالح صغير يزحف
على قفله . لماذا تسمع نظرتها الطيبة في هذا الوقت من
الليل . وشطه هذا التساؤل بقوة . لم ليت له انه
لا يعرف لان لماذا وضع نظراته في حين انها
لا تعرف القراءة والكتابة .

— الصبح تروح تأخذ بخاطر مراته

لم خرجت والمثقت الباب ورامها . ونام مصرعي
الباب وهما بتسامان باحكام . مصفى من شدة
شبه . واتسم حسنا رأى وجهه الكلب . في ذلك الوقت
وسط اكداس صناديق الزجاجات المملوءة والمظلمة .
وذلك المكتب الصغير وصوف البغاري البنيوبه الاخضر .
تلك الدفاني تشر سطحه دالما . الصعجاب والخشاب
والارغام والكلمات . اسرار مبهمه لم يسع طول حياته
ان يتنهر عليها . صعد من الحضيض الى القمة . دار
صندوق (الصدقة) في الشوارع يصلح للسفاحات
والتلذذات . جلس الارفصاء امام ابواب التسقيف .
نظرت اليه مئات العيون الكهولة نظرات شؤراء . لم
امتلك لنفسه فيلا وسيارات ومصانع لكنه لم يستطع
ابدا ان يتنهر على سر الكتابة . ذلك الكتاب الصغير
كان يجلس على مكتبه في العجرة الكدسة بصمتا
الزجاجات المملوءة والمظلمة . وبعد بده وتحتضن اصابعه
الطويلة الرشيقة الدفتر الاسود الفلاف في حثان ونظام
ويطلع الصفحات . وتنتشر امام عينه الكلمات والارغام
والكلمات .. صفوف صفوف من الوجوه النضيفة
المسوخة تنظر اليك ببرارة وهي تغطي المراسمات
والسرقة .

— ادى دفتر الصادر يا حفي . ميت صندوق مرتقان

للمعلم غره .

انه يدرك سرها ويلعب بي ذلك الكائن . جهده
خارق فوق طافة البشر . مسنين . مسنين من العمل
التواصل بلا هوانة . وهما ذا يلق صغيرا زربا كحذاء

عند نابع الأكمان

مشيا هما الإنسان ، الأول طويل والآخر القصر منه
قلبا ، الأول يبدو حكيما ذائق الفهم ، والثاني قلنا
منورا ، فالمسائل لا تلمط نفسها بسهولة ، بل غالبيا
ماكون العالم غير مفهوم .

مشيا هما الإنسان ، انتهىما من الطريق المرصوف
وبدأ يوفلان في الطريق المترب ، انتهى الى بيت أصغر
كتيب تهمل شرفته على الواجهة في حزن ، وأمامه
غرفة السلقون ، تلفون له (كرنك) ، خفراء ذوو منادق
ووجود ذائلة ، قرية لم اسمائها على نفسها ، غالفاهره
زحبت عليها واحاطت بها .

دخلا وجلسا على أركنة مفروشة بالحصر ، كان
لعة نسمة وجوه ، عامل التليفون عاكف على أوراقه ،
هنا يكتبون بالمراف تام وبقداسة ، كان رجل نعليه :
— البيت أنا لعة مقبدها في دفتر المواليد مافش
يومن .

رفع عامل التليفون وجهه تهمل عليه جلد زسوتي
كعكاس قديم .
في المظلة نتاج القول .

نظمت الرجل الطويل يده بالمظلة ، افرغ الكلب
جانبها ل أوراقه وأعادها ، نظر فيها الرجل
الطويل ونسب لريقه .

لقد مات الكاتب ، كان ...
الخواجة أريستون ، ككتبي ...
وهو سبغها بحذائه ، ذلك ... القرب .

وعلما الكثرة دور أن يرفع وجهه عن الودق .
— لسة مبدئي عروسه سن 18 سنة .. كان
فاصل لها سنة وأخذ الشهادة .

وضع الخفر بتدقيقه بجوار الحساب ، يكن
الجوزة بجوارها ، جلبابه لا يزال رطبا من ظل الليل ،
وهو نحيل كمنزلة مريضة .

سارا مرة أخرى في الطريق القريب ، حسنا
واكتشفه أكوام السبخ قال الرجل الأقصر قليلا :
— حاجة مرفقة .

ورد الرجل الأطول قليلا :
— مصريا كده . يوم م الامام نرعى في حفرة اتن
من دي .

ووجدنا الطريق المرصوف مرة أخرى ، سار بهما ،
بدان جوانبه تنشط بالحياة ، ثم تكلف على الجانبين ،
الحوائط وعربات اليد ، الكداس البضائع والقواكه ،
انواع الطعام والناس ، عشرات الملائك يملو صياحها
على صحاب الباعة ولفظ الناس ، لكن اللافتة على
وكان يائع الاكمان دافعة هابسة ، نظرا اليها مصفا ،
ريما في نفس المعلقة ، ثم التحرفا ومشيا بجاء الدكان
تقبلي الخطي .

مكسورة او ينهش فيه باستائه ، لكن كل شجرة غلبه
بزهه الانفصال من داخله ويبقى خارجه راكدا . هذا
الكسان الدقيق الزرى .

— سهولوا فبن امبارح .
— عند حميدو وكان مظاهر امته ، عقبال عندك في
ولاد ولادك .

— والقعدة بقي . بتحكم !!!
— اهي بتحكم باجح ، انهم نكون الصبح في
شقلنا .

جاءته الاخبار ، كانت عزومة هائلة ، كل بضعة
ابام عزومة ، وفي آخر الليل وزع كل واحد نصيبه
من السرقة ، اولاد الاغاي .

— اخرج من مصنعي .
ومنى والمطف الكاكي بلاسي اكثافه الدفقة ..
وفصل الحاج باقى انمصاة والآن يمتلك المصنع لنفسه
تماما .

وفصح مكان المسكاتب ولدا مفزوع العينين ،
والدفاير تهرات اخلقتها وثنتت اطراف صحناتها ،
والحاسبون مشكون من الاحطاء في الحساب ، هــلاـهـ
الحقيقي . هذا الولد لايسرق ابدا ، كل
المحاسب وذلك الولد المفزوع دائما ، يود لو ...
مكانه ويظف به خارجا .

لقد مات الكاتب ، كان ...
الخواجة أريستون ، ككتبي ...
وهو سبغها بحذائه ، ذلك ... القرب .

— انشى كون نفسك ، لزوم .
بفسحك وظهر الاستعداد على اطراف شفته .
— خلى بكرو على رب بكرو باجح .

انه يحترق الحاج بكذاه الضاروق وجبته النيلـهـ
ذلك الكلب . لماذا لاينهم . لماذا بقي لعة مئان تنظران
اليه هكذا . ماذا يملل لمخرس كل الميون .

انه لميد يندر الاشياء بيطة شديد .. لكن هناك
بضعة اشياء كان يجب أن يفرها ذلك الكاتب — الحاج
يؤمن بها بقوة — انها حياته هو من غيرها لاشيء ،
... لاينهم ، كم يلقوم ابدا .





وضحك الأب لهذه المراء العجيبة ، حوقل ، لكن الصلحك بقلبه ، المرحوم كان (ابن حط) ، المصحح بملأ بقلته ، المرحوم كان نصاراً عالياً ، لم يصدق قط إلا في الشهادتين ، وبعد ذلك كل كلامه كذب ، والعجيبه وراءه بقلته ، بقلته في فمده ، ها هو قد مات ذلك الخلف الطائب ، فقل الله هذه المرافة .

الكناس الناس نسلطه من كل ناحية ، تطساوون وراى الى ان كان له امر ، لكن الهواء في سلف العربى ساحر ، بقلته بقلته ، تلعب وتلعب مع بقلته الخرافة وتلعب بقلته بقلته من كلفه بقله على قدم واحدة والاخرى مقلعة بجوس بها باحثا في مكان يرتبها بقله لكن الارض كلها احذية متراصة ، وحيشا حارت حيشا تصطعمان يصون مثيرة بالثورة ، اكتسبه احساس غارم بالفرق ، تدلت ربة عقاله السوداء ، فقلت احتشائها الحميم لياقة قميصه ، ولهدلت ملايح وجهه ، تدلى جبينه بالفرق والنسوت شفاء بالقلب المكطوم ، فمن الحماقات والظقوس الى لعيب بالوقت ، وجلوس الناس كالدمى المسحكة تصبون الى مفرى القرآن ولا يستمعون اليه ، حماقات مفرقة تالى بالناس من القاصي الارض ليحتلوا ادوارا هزلة في لعبة لا يعرفون من مقترحا .

لم احس بتريت على ذراعه ، ولملص في الزحام كنودة تتلوى في طين ساحل ، لم يح رجل يقيم له مكانه ، ذابت لفترة من السكينة وانتشرت في روحه كلها ، صعد تهيدة عميقة وهو يلقى بجسده كله على المقعد ، وفي وجه ازدواج الميون السلطة عليه في جسد وغلب شرع وجهه مكتسبا بالعداد ، واحكم رباط عتقه الاسود ، وذبلت عيونه تنوع من الاسى

وجوه في الزحام

جلس الولد امام عجلة القيادة كاللهاجة المسمنة ، متفخ الأوداج متجهما ، وجلست أمه بجواره ، لحرف وجهها مليصترات لليمين لم تعود وتعرفه مليصترات للشمال ، وسأول بطن في الدنيا اى الأوغاسات انتر ملائمة !!

اما الأب فكان جالسا في الخلف ، أى وجهه في مراء السائق فسلحك ، لم يزل الصلحك بقلته لكنه ضحك .

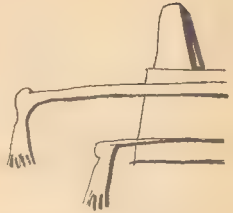
تبسب الابن بصره بقوة على بقعة من الاسفلت امامه ، تلك البقعة الطائفة ، ومقدمة السيارة طافية على ليونة الطريق ، قرر الابن بشكل حاسم ان ذلك التصرف لم يكن لانقا ، اسعرس الموقف بكل دفاقته ، والحوار التفاضل التي استند اليها كل من الطرفين ، صر على استأنه واحكم يديه على عجلة القيادة ، سينتبه من ذلك الزواء على وجه السرعة لم يعود ، ولئلا المساء سوف يملته بقرارة ، لن يتزوج ابنته !!

وتسادت الأم : لرى من سيكون هناك ، هذا ، وتلك ، كلهم سيرون العربى الجديدة ، حسن ان ماب في تلك الظروف ، اليوم بالذات يوم تسلم العربى الجديدة ، هذا احسن ما عمل في حياته ، طول عمره تصاب سائل كلاب ، لم بعدم وسيلة لانتزاز مالهنا ، بل كلهم لم يتمنوا لها خيرا ابدا ، كلهم سفلة ادنياء ، كادت تبكى ، لكنها تحسست العربى بقسوة واعاد دموعها الى ماقبها ، ولغلت نظر ابنتها الى انه سرع اكثر من اللازم ، ثم ضحكت .

لها الحياة وتلقها على القسيان ، لكن الشوارع الآن مزدحمة خائفة . ياه غرات من كل شكل ولون ، آت لاكاد ترى الأسفلت ، وجوه في كل شبر ، وجوه . وجوه . وجوه . متوترة عدائية ، ياللمزنة ، تداخل في نفسه ، ترى كيف يكون الموت كيف يكسبون عزاء اليوم . وكيف يكون العزاء يوم موته . انه حزين حزين من اجل انسان يموت ..

انحرف الاويبي فجأة وبقوة ، وطار التساكي متجنباً نقل الاويبي الذي كان يسقطه ، لعلقة رهيبه تقاربت فيها كتلتا الصلب الى درجة التلاصق الفلج ، ابيض وجه السيد السمينة وتتلجبت اطرافها واقلت رأسها مقلعة العينين على مسند الكرسي الطويل في الساكي ، وامسك رجلها يدها بقوة ويحنان عميق . وجهه مكتنز شوته السمينة . كم كانت جميلة وهي عروس ، كانت غارقة الجمال ، ماذا فعل بها خصال هذه السنن ، كان يصعب جمالها ويرتعب منه ، لانه عابدها ، حولها الى شيء ابله خائب مهين ، استسقى عليها اسفلاً عبيداً ، ياللقسوة الانسان الوهشينة ، لا يكون الانسان رقيقاً قليلاً ، حتى هذا الذي مات ، كان فيه بعض الجوانب الطيبة . لم يكن غاراً على الاقل ، لم يلحق ناعداً ضرراً ، بل ربما ساعد - حصل على قلب مصيب . من يدري ؟

يبدو ان الرجل احمى نفسه ونفخ الجنيحات العنوسة ونسحقها في زوجة المول ، يجب الا يراها احد ، الحصة التي يراها الناس تطفه فيمتها عند الله ، لذا يجب الا يراها الناس . يستعمل ما وسعته الحيلة ، ستدفعها جالياً ، لكن ماذا سيقولون عن ذلك الحديث الجاني ، سيخفونون بلا شك ، ان طريقة اخرى سببها وتترك الورقة المكورة في يدها ، لكن ربما سقطت على الارض لان الاخرى لن تكون مدركة لما يقصد من المصافحة . لا . لا . ستقول لها ياه تصوري هذه اول مرة ارى فيها بيتك في حياتي . ماذا يوجد هنا . غرفة النوم ؟ مسكن جميل ، وخلسة تصنع النود في يدها ، فرحت بحيلها وملا زوجها جلال دهن رائع ، لكنها في طريقها صدمت رجلاً يحمل لوحاً مرصوماً بالارلغة ، وقال الرجل لها كلمة بدئية ، وتوقل الجبال بلا رحمة ومبت مبتة وانتشفت ان الشارع فسر نملاء الروائح الكريهة ، وحتت بقوة الى كتبتها وفراء الظروف الناصع البياض المفروش عند قدميها . ياله من فراء جميل .



متعل ، لم بدا يزل نفسه ناهراً من الشباك غاراً في تيار المارة والزحام والافاجات والاشياء تنظذ اشكالاً غريبة وتوحى نافذات مضحكة ، ليست حياتنا هذه شيئاً يصعب فهمه ، بل انها لصعب الانسان بالدوار .

١١٢

كان الترام حالياً ، ذلك الترام الميكانيكي القديم . وكان الكساري رجلاً عجوزاً طويلاً الزحف ، ملجح إسح الاضراس ، ثم وقف امامه ويديه مبيجة مبيجة . اعطاه الفارس ، وعلى مهل قطع الكساري الشذرة واعطاه له ، ثم لكاً قليلاً ، كأنما يمز عليه ان تعفى (المناسبة) دون ان يبادلا حديثاً ما - هذين العجوزين - لكنه مشى في النهاية بترنج وبشر خبطات هيئة نظمه العدد .

صوت العجل في القسيان والعربة تيمسمل مقبرة مسارها ، ذلك الصرير الصنفي المتطاوّل ، ثم اعطى السائق للعربة الفس خالقتها فانطلعت طاعة فرجه يهتز جسدها ويصدر احتشالها ازيراً متفهما طروباً .

والغمض الرجل عينيه ، غاب ، اشياء من الزمن القديم ، لم تكن الظروف مزدحمة هكذا ، كان الترام يسر وسط الشارع ناعماً ، وزمارة الكساري تطلق



لن يعود أبدا

دخل الرجل ولّى يده ورقة صغيرة . تعبرج
الدفن . الرجل عيونه ضيقة متألدة الرموش . لكنها
تحمل حزنا غريبا .

الغان ضيق . أشكال رباعية غير منتظمة بعضها
جدران فذره مصمتة . والإبواب لميثة ضيقة . لكن
الناس هنا يملكون دوية غريبة على بلبل أكبر كمية
من الحركة في هذه المساحة الضيقة . . دؤوبون
كيناديل الساعات يروحون ويحيثون وجوههم صغرية
فلانة من العناء وسوء التغذية ومكتسية بالحزن
والصرامة . . فروات رؤوسهم مجنبة خريفة . والرهتهم
طويلة تحمل في نهاياتها أكف كبيرة صلبة .

في الركن وفل رجل عجوز جاف كلرع سنط .
لعيون له يرى من خلال بقع ضوئية كعشوة يدائية .
تحمل خطوط وجهه حيوة رسم من العصر الحجري .

— مستنن انه ؟ عاوزين بغسل الجثة .

— من ركن فمن صراخ طويل مطبوط . .
هذه عثرات من النساء في نفس واحد . . لايسات
أرسو . . جوهن مدفنه بالدم ، مقسولة بالدموع
التي الجو المسم شيء قريب . أصبح السرير
الضيق في الغرفة الضيقة . . حيث يسجي . في بؤرة
كل شدة . . علس وجوه الرجال الصلبة بمشاعر
لينة . . زادت الحركة التلقوية سرعة . أصبحت
مجموعة . خلج ذلك الرجل العجوز جلسابه — ركن
مكازة على الحائط ولوح سده المعجاء .

— بنات بكر يعلو فيه جديدة .

أصبحت الهمهمات والكلمات البسرة والأوامر
المرعبة غارقة في ولولات النسوة التالعات .

وكان ثمة بسمة وجوه ملتصقة بمقاعدنا في ركن
آخر . وجوه متميزة فهي ريانة أكثر ، ولها الوان .
وكن حركة (أهل الجثة) التشبثة نزلهم رويدا
رويدا . من أول الأمر ، كانوا دهشين أكثر منهم ،
حزاني . لقد أخذ هؤلاء الناس حزنهم ككتاب قراءه .
واحتفلوا به لانفسهم ، ونظروا لهؤلاء شورا وتجاهلوه
ونزلوه . تلقوا حواشيهم . تداولوا فيمسا بينهم
سؤالا — تداولوه سرا ككلمة من الخسر — ألبسوا
أفله ؟

لكن الحركة في الدار ازدادت حمى . . دخلت
البنات حاملات صفايح الماء لايسات الأسود ، يسكن
أطراف جلابييهن بصرتها عن سيقانهن قليلا ، ويعملن
صفايح الماء كرافعات مبدع مصري قديم .

فارت البواب لتستقي الماء وتقدم العائسوي .
وجس الماء وأعلن أن حرارته مناسبة . وتقدم الى تان





عن الدباب

عُثراب من الافدام ، اشكال من الاخذية شوهاء
عظيمة تحرف على صدر الارض - جرجرة الشمال على
الحصى مهدجة .. عواصف صليحة من الرباب ..
ذبابات تزعجها الجلالة المجابهة .. نظير .. نظير في
عصبيه .. تدور يضع دورات ثم تعود ترفي بشراة
على صغر يد صغره من المعن .

... من صراخ النساء تباعد والحنوني يعود
... احذره في الشمس لا قتال والشمس يطفو على
لكنه السيرة تايأسعهم الخطوط فوق انحاءات

ولوح الحايثو مضاء فتنبهت صرخات رجالية
من الجميع وجعل الغلوب بالاستفغار .

انداس البيوت سائد في وهن والحواري بشرى
بينها في نهام . وفي مقابلتها بيع القصور مكينة مساندة
السطوح ذاب ابواب حديدية تدلني من صدورها افعال
صدنه .

ونسع النشئ على الارض ... وتعلق الحشد حول
قوة القبر ..

ضرب باب الحديد حتى فتح .. جوف العير
متم .. اطراف على الباب الحديدية كانت قسده
القلب الدباب .. طن مستاء دائرا حول خمسة اجسام
مجاة وقد اسود تسج افانها بالتراب .

ضحك رجل بلا معنى ،

- الخمسة انويا وعمي والحوالي .

ثم ضحك مرة اخرى مدعوريا . حمل الجسد
على السواعد وادخل في القبر .. سوى التراب من
نحته تم اربح في مكانه . انطلق الباب وسادت الكتمه
.. عادت الطمانينة للباب .. طن في علوبة .

الفرقة ووراء الرجال في كتلة ملاصقة . اثبت ممدد
على السرير ، مد يده وكشف وجهه . صاحب . نفس
الجبين التبل والنشئ الاسود السبط شسويه نص
الثبيب . والعيون مسيلة في صفاء ، بعض ساعاب
السرور مع الاخوان ، . وان صمت لم انطلق صراخ
النسوة الطويل المظبوط . عثرات مله في نفس
واحد . المجموعات هنا تتحرك في تجلس قريب ، عند
راس البيت لوح الكاهن بيده :

- مستبين ايه ؟ عاوزين نسل الجنة ؟

وب اللفظ .. الكلمات المشيرة والاوامر الصارمة
وعويل النسوة في الصخرة الطغية .

رفع الجسد الى طاوله مشوشة بين السرير والحائط
في الركن كان البذاء الذي ظل لاسما ابدا .

نشر الكاهن شفاة ايبي فوق الجسد المسجى
وبداه الخبيرتان جرداء من لباسه واوراق الماء على
جسده من تحت النطاء وهو يصرح بلا انقطاع : اشهد
الا اله الا الله وان معهما رسول الله ووراء اناس
الرجال مقطوعة ، وكلماهم مبهورة لاهته ، وكبر .
نصك صفائح الماء في وقع مضطرب مدعو

وضع على الجسد اذرا
عه الماء الاسف . وبدى

مفسول بالاه الداعي يعيل وجهه اقل الجنب للسلا
واتهمر تسج الرجال بلا حجل كالنساء وجساور
صريح النساء فاجعا مريرا .

لم بدا يدرجه في الكفن - قميص ثم ثلاثة ادراج
ثم شعار من الشاهي وربط لفة القماش عما يجاوز
الراسي ومما ينزل عن القفصين . وحزمه عند الوسيط
ورفع لراعيه الى اعلى صالحا « قل هو الله احد الله
الصدق لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد »
وانطلق كورس الرجال وراة في حصى مجنونة وصراخ
النساء مياض طائره جلد الهواء وحمل الرجال الجسد
على السواعد معلولا بالسكينة وسط الضجة الزهية ،
وخرب كتلة الرجال مشوشة في الابواب والنشدرات
في ساحة ضيقة .. مد يده ، ونسأطت الرؤوس
على الحدث من كل شكل ذات فروات خربة ، اومظاه
بالوان من الطواهي لقبول الراحل .

حمل النشئ على الاكتاف خارجا من الباب ولجزه
من الثانية حل الصمت .. لن يعود يدخل من هسدا
الباب ابدا .

ناله من حسم لاطام طبيعة الانسان الهشة

انطلق صراخ كاسح .

محمود طاهر لاشين..

وميلاد الأقصوصة المصرية

بقلم : صبرى حافظ

ألا وهي تلك المدرسة الأدبية التي سمعت
نفسها بالمدرسة الحديثة والتي كان عميدها
أحمد جبري سعيد الذي رأس تحرير مجلتها
«البيان» - صحيفة الهمم والنباهة - تلك
المجلة التي صدرت لأول مرة في ١٩٢٥/١/٨
واسميتها «البيان» الصلوة أسبوعية حتى
١٩٢٧/١/١٢ أو هذا بمعنى أدق هو آخر
أعدادها المحفوظة بدار الكتب المصرية . وقد
استطاعت هذه المجلة بإمكانياتها الضئيلة
والأعداد القليلة التي صدرت منها أن تعكس
صورة حية لما كانت تعيش به نفوس شباب
هذا الجيل من توق عارم إلى بلوره فن وفكر
قوميين . فقد نشرت إلى جانب القصة
والقصيدة ترجمات ودراسات عن العديد من
الاتجاهات الفكرية والمذاهب الأدبية . كما
قدمت إلى القارئ عددا وفيرا من القصص
القصيرة المترجمة إلى جانب عدد أوفر من
كتاب القصة المصرية للشبان . وسوف ندرس
الدور التفصيلي لهذه المدرسة ونتعرف على أهم
كتابها وأبنائها بعد قليل . ويعد أن نتعرف
أولا على الملامح العامة للحظة الحضارية التي

يقترن ظهور محمود طاهر لاشين في حفل
الأقصوصة المصرية بعده طواهر تكسيه أهمية
خاصة وتجعله نقطة الانطلاق الحقيقي لدراسة
هذه الأقصوصة التي عتبت في البداية
مصرية واضحة للملامح . في كتاب «...»
أن محمد تيمور وعيسى عبيد ، كاد أن يقرب
لنا - كل على حدة - عبر كتاباتهم القصصية .
الارهاصات الحقيقية لميلاد الملامح العمومية لهذا
الفن الوليد . إلا أن توزع اهتمام الأول بين
المسرح والأقصوصة ، ومعالجة الموت للناسي ،
وهو لما يكتب لنا - أو لما ينشر - سوى نسج
قصص يتسم أكثرها بالطابع الخواري أو
الروائي . يدفعنا إلى اعتبار محمود طاهر
لاشين . نقطة الانطلاق الفنية في دراسة هذا
الجنس الأدبي . خاصة وقد اقترن ظهوره -
كما قلت - بعده طواهر تكسيه هذه الأهمية .

وإشارا للحقيقة فإن محمود طاهر لاشين ،
لم يرق بكل هذا الدور الريادي وحده ، ولكنه
كان - في ذلك الوقت - أبرز أعلام مدرسة
كاملة اخفت على عاتقها النهوض بهذا الفن
الوليد وأقاله عزرائته وتسوية الطريق أمامه .

هذا من الناحية الفنية ، أما من الناحية الحضارية فقد وفد محمود طاهر لاشين على فن الاقصوصه وصره حساسة من تاريخ هذا الفن وحرجه ٠٠ بنت الفترة الباصمه بالحركة ، الحبلى بالثورة ، المهده لاسلاطه طلائعها الكبرى فى اوائل مارس عام ١٩١٩ . ثم عاش مع يعاقته سنوات الثورة ، وشربت من جذوتها روحه . اطلق فى خضمها بكل موره الاعوام الخمسة والعشرين وكل اندفاعها فلما انحسرت قوره هذا الانطلاق بانتكاسه الثورة ، ومجى وزارة زيور تحت شعار «نفاذ ما يمكن انقاذه» بدأت ترسيات تلك الاسلاطه الهاديه فى اعماق كاتبتها تملن عن نفسها وتطالب بالسفور ٠٠ خاصه وقد كانت حسده الثورة فى جوهرها شقيقا عارها الى بلوره الشخصيه المصريه واستخلاص وجهها من تحت وركام التبعيه والاحتلال والعبودية . تجلى ذلك فى صرختها الكبرى « مصر للبرصين » وفى موجه الاحياء التى للروح المصريه التى انطلقت من موسيقى سيد درويش بكل جنودها الشعبيه ، ومن حاز بكل محاولاتها الدائيه للكشف عن حدها فى جسم الملاحه المصريه روى حوائجها صوت هذا الجمال المصرى الاصيل (١٩١٦) ونجى ذلك ايضا على الصعيدين السياسى والاقتصادى فى تلك النهضه المهدئه لتباشير الاستقلال السياسى والتى بلغت اوجها عندما صدر دستور ١٩٢٣ . ولظهور طلعت حرب وارساله لدعائم الاقتصاد المصرى مع مطلع عام ١٩٢٠ .

فى هذه الفترة عاش محمود طاهر لاشين وبدا الكتابة بعد ظهور تباشير الطرح الخيالى لثورة مصر القوميه التى اندلعت شرارتها فى مارس عام ١٩١٩ على شتى المستويات الفنية - سيد درويش ومختار وهيكىل - والسياسه - دستور ١٩٢٣ - والاقتصاديه - ميلاد الاقتصاد الوطنى وبدايه انشاء اول مؤسساته الوطنية (بنك مصر) فى ٧ مايو ١٩٢٠ - فكان عليه ان يضطلع بهذا الدور فى ميدان الاقصوصه بعد ما مهدت له الترجمات الارض ثم سوتها تماما كتابات تيمور وعبيد . وخلقت التيارات الفكرية التى سادت تلك المرحلة والتى عملت

ظهرت فيها هذه المدرسه ، وعلى الظواهر المدينة التى اقترنت بظهورها والتى قدمت لنا فيها أبرز ابنائها محمود طاهر لاشين الذى وفد على حفل الاقصوصه المصريه فى فترة تكسبه اهمية خاصه .

بعد وفد على حفل الاقصوصه فى فترة هامه وحرجه من تاريخها ٠٠ فمع مطلع العقد الثالث من هذا القرن نالت الاقصوصه المصريه قد اقلحت فى سخطى تلك الحافه المتسارجه التى وقعت عليها طويلا ٠٠ والنسبته تحت أبرز ملامحها من تشتمتها بين الشكل الأوروبى الواحد مع الترجمات التى غمرت الحفل الأدبى وقتها . وبين التقيف فى بطون الأدب العربى عن أرض تراثيه لهذا الفن الوليد . ولكنها لم تتمكن بعد تجاوز تلك الحافه من مواصلة خطوات الوحلة فتعثرت من جديد فى برائن ذلك الفهمم التصيرى المتسر والذى حل بعد بطنى جمه لواءه فى هذا المجال مرادها بذلك خطوات محمد عثمان جلال المسرحيه المتناويه . ويطلب الأمر فترة غير قصيره حتى سكن محمد تيمور نم عيسى عبيد - كل على حده - من استيعاب بعض ملامح الشكل العربى القديم . وادفراغ بعض القضايا المصريه فى الفن الجديد غير أن استيعاب ان حده من الاقصوصه وجوهره لم يكن قوى الشبهات ولا وفقا تماما فى عقد مزواجه حقيقيه بين هذا الشكل الفنى الوليد وبين تدنات احس القومى المتبلور عبر القيم التراثيه . لذلك لم يخلفا لنا بدايه متبلوره للقصة المصريه القصيره يمكن معها القول بأن على ايديهما - أحدهما او كلاهما - قد ولدت القصة لمصريه القصيره . وان تركا الاراضات الحقيقيه الواشيه بميلاد هذا الفن وعن قريب . وآثارا فى أعمالهما الفنية ، وفى مقدماتهما الثريه - وخاصة مقدماتى عيسى لمجوعيته (احسان هانم) و (ثرثيا) - أكثر قضايا هذا الفن اهمية واشدها تطلبا للعلاج . وفجرا أهم العثرات التى تحول بينه وبين التبلور الواضح وارتداء الأتواب المصريه الاصيله ٠٠ فلم تكد تمر سنوات قليلتا حتى انجز لنا محمود طاهر لاشين تلك البدايه المتبلوره التى ارحصت بميلادها كتابات محمد تيمور وعيسى عبيد .

ما زالت مثيرة بتنهيدات مصطلحي كامل الحارقة وناسيه على مصر القويذة وعشمه ارمواسي لها وللمابه ارفافه عى انذله فى هوى ارضها وسمياتها . وكانت عارقه ايصا فى ارتدد ارمواسي بين أحضان أعدائها فى الحد الذى عطف فيه طناع كبير من بينها على النعوذ التركي والسراي . كذلك كان الحال على الصعيد الادبي اعراق زائد فى الآداب الرومانسية سواء على نطاق التأليف أو الترجمة . مع يقني حاطي بان الأدب لا يعيش الا فى مستنقع المحسنات اللطيفة والبديعية ، سساهم مع الرؤية الرومانسية فى الوقوف بالأدب على هامش الحياة الاجتماعية دون الانحام بجوهرها . اما فى المجال الاقتصادي فقد كان المحتوى الرومانسي لفكره القصامي ، والشعارات الكبيرة المصاحبة لصعود البرجوازيات القومية عاده ، هي المناخ السائد فى هذا الميدان ، حيث برزت كتب المنكر البرجوازي ، وهي فى ذاتها ارضيه اسي وقعت عليها شتى النشاطات الأدبية وحاولت أن تكون

على نفوره الحبس القومي واعلاء شأنه ، فى أعماق اعباين تشوقا عارما ميهيها الى من مصرى أصيل . او بمضى اخر ، الى ثورة عارمه فى هذا المجال تنحطى لهذه الاعمال اسي املت انتحاصيه المصريه عبرها على استحياء . ولم تكن كتابه القصه ايامها من الاعمال المشرفة او المحترمه فقد استحيي هيلل فيل سوبن . يصح اسمه على (رينب) وومها بفلم (مصرى وفلاح) . وكان الأمر والحال كذلك فى حاجة الى مجموعة من الفنانين يحاربون لافاذ سمعة هذا الفن التي تردت فى شباك الاعمال البوليسية والخيصة ، ويستندون له الاحترام . وكانت المدرسة الحديثة هي هذه المجموعة ، وكان محمود طاهر لاشين أكثر ابناء هذه المدرسة موهبة وأرعهم حسا .

ولد على تخوم القرن الماضي وفي أواخر ذيوله المنحصرة . أو يكتمل أكثر تحديدا فى ٧ يوليو عام ١٩٩٤ فى منزل بمره بخره حسنى بالنسيده رينب - سيرد ذر به حسنى لتيار فى أقاصيصه - وعسى صغر . سيب . سلفين .

فقد كان والده حسنى دسهم حسنى بيش . وكان مولدا بدينب وخره . كان اخوه الاخير محمد عبد الرحيم حسنى لاشين الذى درس فى اوربوا موهبا بالشرح . فى هذا أجو الأسرى يكما ان نقول ان محمود طاهر الصبى عاش حياة مستعرة واصل عبرها دراسته بانتحام فى مدرسه محمد على الابتدائية ثم الحديثيه الثانويه حتى تخرج من مدرسه الهندسة - الهندسحانة - (قسم البلديات) فى عام ١٩١٧ . ثم التحق بعد تخرجه بعام ، وعلى وجه التحديد فى ١٧ يوليو عام ١٩١٨ بمصلحه التنظيم بالقاهرة واستمر بها حتى طلب إحالته الى المعاش قبيل بلوغه الستين بشهور قليلة فى ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٣ . ومن هنا نجد أن طاهر لاشين قد عاش فى يفاعته وصباه تلك السنوات المستدفنة بخراره الرومانسيه على الصعيدين السياسى والادبى ، ولا أغالى أن قلت والاقتصادى أيضا . فعمل الصعيدين السياسى كانت مصر أياها

صغير لاشين سوبان دراسته وفعافه شيايه . غير أن الحركة الأدبية بادية التحاقه بالعمل نك «سورة اواعيه اسي شخصت عى ثورة ١٩١٩ كما رافقت هذه المرحلة وقوعه على كثر الادب النروسي المكتنط بالاتجاهات الواقعية التى دعمت التراث الذى أرساه فى أعماقه ولعه العظم ، وصقلت تشكوفه العارم الى الالتصاق بقلب البيئة المصرية والقوس داخل اغوارها بحثا عن جوهرها . وقد أتاحت له طبيعة عمله أن يجوس خلال الأحياء الشعبية ويخالط أولاد البلد وصغار التجار وأصحاب القهاوى ، وأن يطلع على أحوالهم ومشاكلهم ونوازعهم ومآتهم وأقراهم » (٢) . وقد هام طاهر بتشيميكوف الى حد كبير ، ترك معه على معظم كتاباته بصماته الواضحة . ليس فقط فى التكنيك القصصى ، ولكن أيضا فى الرؤية . وقد دفعه هذا الهيام التشديد ذات مرة - الى اقتباس واحدة من أقاصيص تشيميكوف فى مجموعته الأولى (سخرية الناي)

ومع الأرضية الحضارية التي وقف عليها وولدت فوقها شتى الهوم واشتاتل التي التفت بها افاضيص تناب هذه المدرسة الحديثة . وولدت اخروج بهذا المنفى الجديد من ذلك المدار اسعيتي الذي انبث اذهان الاجيال اسسابعه يارديه السبعة وعيبياته الاسطورية خيرة . ونحيطه من اسرار الذهبية العديدة التي احصر دور الادبي في مفهومها على النصب بالاعاط ببراغته بلع حيد الى البهلوانية . واخرج على عافيتها ابائيه ومواضعها العديدة لتجسمن الجديد بقوة وبسالة وتعبه عه وزود عن فصايه مقدمه النموذج الجديد للادب الذي يشر على وجهه الجمالي عندما يمش على دوره الاجتماعي وليس عندما يوفق في كتابه الجملة التي تقرأ من اولها مثلما تقرأ من حرف الى آخر اللعب بالافساط الذي كى يضرب المثل بسا ووصل فيه الخيري من

.. ثبت فيه ان تطور الادب يستحدد .. عبيته سدين لهذا الادب والعائين .. بيوت .. مومرس .. ساجون ، خلال فتوات .. سبهم .. ويالى السمر فيصورهم ، مشى اسلاخ المصغرة الطويلة التي تستعد الليالى المتعاقبة دون ان يتفد معين أحداثها وشخصياتها من مفاجات وحوارق . ومن هنا كان ازدهار الملحمة الشعرية في هذا الوقت . اما قاري القرون الوسطى الاقطاعي فقد وجه طيبة حياته الهادئة المستريحة الادب وجهة اخرى . فسادت الرومانس انطوية بكل ما فيها من أحداث اسطورية متعاقبة قادرة على قتل النبال الطوال بجوار الدعاة . اما قاري عصر النهضة فقد تاق بعد سيطرة الانبجاعات التجريبية والعلمية الى رؤية واقعية جديدة ترى الاحداث والشخصيات الروائية بعين لا تهيم بالاساطير او الخرافات ولا تهضم الاحداث الخدقة . ومن هنا ولدت الرواية الفنية القسائنة على الانواع الفني . وكذلك الحال بالنسبة للقاري الحديث الذي يعاصر في أوروبا مرحلة تدهور الرأسمالية ويعانى من تمزقاتها . والتي ولدت

وهي (انفجار) .. هيام نستطيع معه القول بأن طاهر لاشين كان تشيكوف مصر في عهده الآونة ، يولمه التشديد بالكاهه وسخريته الانسانية من ابطاله مع حبه الفاهر لهم ، المخطي . والمصيفي أن .. اقول ان طاهر لاشين كان تشيكوف مصر في هذه الآونة مع القاري بين مصر في العشرينات وروسيا القيصرية في اواخر القرن الماضي .. بين منه الطبيب الانسانية المعطاء والتي عاشها تشيكوف بكل درات كياه ، وبين منه مهندس السطيم الجاهه التي داح طاهر لاشين في سراديبها دوسا جدوى . ولا احسبني مغاليا بقولى ان طاهر لاشين كان تشيكوف مصر في العشرينات ، فقد قام فعلا في تاريخ الافصوصه المصرية بنفس الدور الذي قام به تشيكوف في تاريخ الفصه الروسية القصيره . لقد حررها من الابتذل والسطحية ومن الوقوف عند المظهر السطحي او العوطى للتناقضات البشرية وادى عرفت فيه أغلب المقامات العربية عند اخرها والهمذاني وغيرها ، فصلا عن الغلب الغفلة .. لقد حارب طاهر لاشين

والحقيقة ان الفاء هذا الحكم ، وهذه صورة المجردة ، قد يلوح وكان في نفرا كبرى . المصالة والتحرير الانعاع . وحتى تصبح موضوعية هذا الحكم نلرنا دراسة سريعة للمدرسة الحديثة ، وتعرف على مكان طاهر لاشين من هذه المدرسة وعلى دوره فيها . ومن الوهلة الاولى سنجد ان هذه المدرسة ليست في حقيقتها سوى تجمع ثغافي لمجموعه من الشيماف في عشرينات هذا القرن . تجمع حول فهم معين للادب ولدوره في المجتمع . غير ان هذا التجمع لم يكن وليد المصادفة المحضه ، فلتوقيته ولظروف ميلاده دلالات على درجة كبره من الأهمية . ذلك لانه كان تميرا عن ظواهر حضارية متعددة ارتمش بها وجدان مصر في هذه المرحلة . وجاءت هذه المدرسة لتلبى عدة احتياجات ملحه ، تقف في مقدمتها الرغبة في سد احتياج جمهور المثقفين الجديد . واحتضان رؤيته للعالم وتقديمها في قالب جديد يتواءم مع درجة تضجبه الفنى والفكرى

التي انطلقت سريعا بعد ما نشرت قصة أو قصتين مثل نجيب جرجس وحسن عارف ومحمد عبد القدوس ونور الدين على طراف وأمينه أحمد طه ومحمود عطية يوسف كما رافقت هذه العنود القصصية الجامعة حركة فكرية نشيطة سارت بموازاتها ترجم لاعمال تشيكوف وموباسان وجوركي وبرانديللو وتورجنيف ، فترجم عائشة فهمي الخلفاوى أعمال عديدة لتشيكوف وكتب دراسات سريسة عن تورجنيف وديستوفسكي ، ويكتب زكى الدين السويفى عن مدارس الادب الروسى الجديد ، وينقل عبد الحميد سالم قضايا الفكر الغربى ومفاهيمه ملخصا أعمال برناردشو ومثيرا العديد من قضايا الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ويقدم محمد على ثروت - المائد لثوه من أمريكا - أعمال ديكنز ومضامرات اچويسوس ويبحث حسن صبيح البرديات التاريخية وما بها من أساطير ، وترجم فى (السياسة اليومية) عددا كبيرا من الأقاصيص ، وترجم كى هذا دلاصا ' نى - ابراهيم موسى وتامل نيلامى .
 - يدرست ، وتكلمت التى قدما آنذاك حسن محمود وإبراهيم المصرى ، صحيح أن هذه الدراسات كانت تنسم بالسرعة دون العمق وبالتعريف دون التحليل ، الى الحد الذى يجعل تسميتها بالدراسات تسمية مجازية ، غير أن هذه دائما هى حال الدراسات النقدية فى مهدا ، ولا يمكننا أن ننسى أن أول دراسة نقدية جادة قد قوبلت بضجة واستنكار شديدين ، عندما ظهرت على الناس بعد ذلك بسنوات ، وأقصد بها كتاب (الشعر الجاهل) للدكتور طه حسين .

قلت أن هذا التجمع النقائى قد بدأ أولى خطواته الجسدية فى السنوات القليلة التى سبقت انعقاد شرارة الثورة القومية المصرية عام ١٩١٩ ، أو على وجه التمهيدى عام ١٩١٧ وأن كانوا لم ينجحوا فى إصدار مجلة خاصة بهم الا بعد ذلك بشمانية أعوام - عندما أصدروا (الفجر - صحيفة الهدم والبناء) عام ١٩٢٥ - وليس غريبا أن تتوافق البداية

روايات تيار الوعى ثم الرواية الجديدة تلبية لاحتياجاته وتميزا عن قلقه وتوتره .. هذا هو الحال مثلا بالنسبة للرواية ويمكننا أن نجده كذلك لو ضربنا المثل بالمرح أو الاقصوصة - وإن خضع هذا التطور لطبيعة الشكل الفنى لكل جنس من الاجناس الادبية وامكانياته - ففى الاقصوصة - وهى مجال دراستنا هنا - مستجد أن أقاصيص إدجار آلان بو ، بكل أحداثها الفاضة والرائقة قد ازدهرت وسادت فى مرحلة غير تلك التى سادت فيها أقاصيص تشيكوف وبرانديللو بواقفيتهما الشعرية وتناولها للامح لادق الموضوعات الانسانية وأكثرها حساسية . كما عبرت أقاصيص همجواى المتوترة الالفاظ الحادة الجميل البسيطة الأحداث عن مرحلة مفارقة للرحلتين السابقتين .

لذلك علينا أن نبحث عن مبررات ميلاد هذا الاتجاه الجديد فى الادب المصرى - وعن البناء الحضارى الذى كان هذا الاتجاه الجديد أحد الأصداء العويقة له - لأنه لو لم تكن ثمة جذور لهذا الاتجاه لما بدأ فى مصر .
 - نرى انجب فيما بعد ، لأن أغلب الاتجاهات الاقصوصة المجددين ، لأن أغلب الاتجاهات والحركات الادبية التى تظهر دون أن تعبر عن حاجه جميعية للمجتمع الاساسى الذى صهرت فيه أو تمكس بعض وجوه حركته الماصية أو الية سرعان ما يبعث دون أن تخلف غير بعض الآثار الدارسة - ومن البداية مستجد أن هذا التجمع النقائى الذى أطلق على نفسه اسم المدرسة الحديثة الذى ضم عددا كبيرا من الكتاب الشباب فى هذا الوقت أبرزهم وأنشريا جبريل ومحمود عرى وجيب رحلاوى أحمد خيرى سعيد وحسن محمود ومحمود طاهر لاشين وحسين موسى وإبراهيم المصرى وسعيد عيده وأحمد شوقى حسن وفاق رياض ويحيى حتى الذى لحقهم بهم أخيرا وكذلك الشف حولهم عدد من القصاصين والشعراء الذين انصرفوا سريما عن القصة والشعر مثل أحمد حلمى سلام وعبد العزيز الخانجى وفرج جبران ومصطفى فهمى ومحمد أحمد غنيم و١ - نظمي وغيرهم من الاسماء

وفود التيارات العلمية والفلسفات الشكية على حياتنا لغترات طوال * وربما لطبيعة ذلك الاستقرار الراسخ الذى توارثناه على مر القرون ، والذى يستبشع التفكير فى هذه القضايا ، ويضع أصحابها فى مصاف الملاحدة والزنادقة مذكر فى نفس المصرى القديم مفهوم متكامل عن الموت وحياة ما بعد الموت حتى اليوم *

لذلك انصرفت المدرسة الحديثة برغم انطلاق أغلب كتابها أصلا من الادب الروسى ، الى قطاعات حياتنا نحاول أن نقدم مسحا فنيا واجتماعيا لها ، حتى تتمكن من ادخال أغلب قضايا الحياة المصرية ومشاكلها فى قلب الاقصوصة * ومن ارصاد دعائم هذا الشكل الفنى الوليد وتكوين أرض تراثية تستطيع أن تحنو على البثور والمحاولات الجينية لهذا الفن * بل لقد تمكنت من ترك بعض الاعمال الحديثة التى أرسلت اشباعها الهادية لغترات

أن مثل هذه الاعمال الغنية ما كان يستصعبها أن تتحقق الا من خلال المجهود الجماعى لأبناء هذه المدرسة الحديثة ولئن مارس كتابة الاقصوصة مهم فى هذه الفترة وخاصة محمود تيمور الذى كان يوقع اقصيصه فى هذه المرحلة بمضاء (مرياسان المصرى) * غير أن هذه الإضافات المتعددة لا تبدو واضحة فى أعمال أى من أبناء هذه المدرسة ، بقدر ماتبدو فى أعمال طاهر لاشين * ليس فقط لانه أصبح أبناء هذه المدرسة فنيا وأغزروهم انتاجا حلالات سنوات ازدهار هذه المدرسة فى العشرينات * ولكن أيضا لأننا نستطيع أن نعتز لديه على أعسق إثارة لأهم قضايا الاقصوصة ولكافة اصافاتها الفنية فى تلك الفترة * بدرجة لا نجدها فى أعمال أى من زملائه فى هذه المدرسة * خاصة وأن عددا كبيرا منهم لم يواصل الكتابة أيامها بنفس

اصرار طاهر ولا غزارة انتاجه مثل حسين فوزى وأندريا الجميل وحسن محمود ، كما عاجل الموت بعضهم ككبيد * ومن هنا علينا أن ندرس أعمال هذا الكاتب بصورة تفصيلية باعتباره أهم أبناء هذه المدرسة وأغزر رواد الاقصوصة المصرية الأولى انتاجا *

وقد نشر طاهر لاشين أغلب الاقصيص التى ضمتها مجموعاته الثلاث (سخرية النساء) ١٩٢٦ و (يحكى أن) ١٩٣٠ و (النقاب الطائر) ١٩٤٠ وبعض الاقصيص الاخرى التى لم ينشرها فى أى من هذه المجموعات الثلاث * فى عدة صحف ومجلات أهمها (كوكب الشرق) و (الشياپ) و (السفور) و (الفجر) و (الهلال) و (السياسة) وغيرهما فى السنوات العشرين الواقعة بين ١٩١٧ و ١٩٣٧ * غير أننا لن نحاول هنا أن

نصفه بـ هـ منه هذه القصص تحت عنوانه
فى دراسات مدرسية
ولا دالة ، ولئن نقف عند
فى ان من مجموعات
من (الانسان س) (٦) و (قصة زواجه
١٧٠ (١) (٨) و (الاسد) (٩) و
ر ملك عبد الطيطى القطب (١٠) و (قصة
نحو (١١) الأبنى اوافق طاهر لاشين على
اعمالها من مجموعاته ، فهى لم تكن أكثر من
مجرد صور وصفية ساخرة تبعد كثيرا عن
البناء المتكامل للأقصوصة الفنية * ولئن نتبع
التغيرات التى أجراها فى بعض القصص مثل
قصة (الجنية البيضاء) وهى كما يثبت تحت
عنوانها - قصة العجوز المتصايبه زهرة مع
زوجها المحتال وما جرى لها بالتنام والكمال
والحمد لله على كل حال - الا تداعب شتى
القارئ ابتسامة ساخرة بمجرد قراءته لهذا
العنوان ؟ - (١٢) - والتى نشرت بعد تعديلها
فى مجموعة (يحكى أن) بعنوان (الكلبة
المرهورة) *

فالهم عندنا هو دراسة الدور الذى قام به طاهر لاشين فى تاريخ الاقصوصة المصرية والتعرف على مساهماته الخلاقة فى بلورتها وانضاجها واخراج نمطها الفنى الى حيز الوجود ، ودراسة مدى التصاق هذه

وهو شيء مستساغ في الرواية وإن كان
موجودا في الأقصوصة وموهنا لها . كما يجد
في مجموعتي (سخرية الناي) و (يحكي أن)
وخاصة في أقاصيص (منزل للايجار)
و (مقيستوفوليس) و (يحكي أن) و (قصة
عمرت) و (منطقة الصمت) . حيث يصبح
هذا المنطق في الأولى تزييدا لا مبرر له وأطنا
تتشعب بالقصة في مسارب لاتعود على بنائها
بغير الضعف والتفكك ويتحول في الثانية الى
عبء ثقل عليها موهن لها . ينال من فنيته
ويقلل من تأثيرها الانفعالي بهذا التهديد الذي
يعقل الكثير من أحداثها ، يربوזה الدائم في
خلفيتها وأشيا بتسلسل الأحداث كاشفا
لتنانها . بينما يتحول في الثالثة الى تبرير
وعطى ، أو خلاصة في صورة حكمة ميتسره ،
وكأنى به يريد أن يقول : سأحكي لكم تلك
القصة مصداقا لهذه الموعظة الحيوانية الساخرة
أما في القصة الرابعة فانه يضطر تبريرا لهذه
القصة المهمة الى تقديم هذه المقدمة الخطابية
بما أقصه ولا أضعت القارئ برغم خفة
الأشعة نرى أن لجوءه الى
قصة مهمة . قصة - خلال هذا الجو
شعاعها وشجيا . ويساهم في تمييز الكثير
مستند مهمة الى

كانت سطحي كثيرا أثناء روايتها .
بعد أن كانت هذه هي حال تلك المنطلقات
التبريرية في المجموعتين الأولى ، أخذت في
مجموعه الثالثة (الثقب الطائر) في التقلص
حتى أصبحت المقدمات في هذه المجموعة كلها
برغم زيادتها ، مهددة لموضوع القصة أو
لصوبها وكأنها اللحن الافتتاحي أو المقدمة
في الأعمال الموسيقية الكبيرة . ففي (الدباب
الطائر) نفسها لا نجد سوى حادثة صغيرة
يتفرع بها الكاتب لاسترجاع تفاصيل هذه
القصة . وفي (الحب بلور) يمدد الى منطلق
تبريري من نوع جديد عندما يزعم بأن القصة
برمتها ليست سوى رسالة عثر عليها بين
خطباته من أحد الأصدقاء ، ويستمتحننا
العدو في عدم ذكر اسمه . وأما (تحت عجلة
الحياة) فإن مقدمتها التي طالت كثيرا ،
استطاعت أن تهدد بأسرافها في الحديث عن
تضاريف القدر ، لأحداث هذه القصة

الأقاصيص بالأرض الحصارية اثني ولدت عليها
ومدى تعبها عن صوم المرحلة التاريخية التي
صدرت عنها . ولن يتم التعرف على هذه
الجزئيات من خلال التتبع الدقيق لموضوع
القصة فقط ، ولكن أيضا سيناخذ في الاعتبار
مدى فية تعبها ومدى قدرتها على الوصول
بأقناع مرور الى هدفها . ذلك لأن درجة النص
القي للأقصوصة ، لا تشف عن مهارة الكاتب
فحسب ولكنها تقدم لنا مدى هضبه لموضوعه
وتمثل لجزياته . وتمكس أيضا الكثير من
طبيعة فهمه لهذا الفن ، وللنصائح التقافي
والفكرى الذي مارس خلاله التعبير .

من البداية نحس بأن نمة خجلا طبعها
يستشعره طاهر لاشين من كتابة الأقصوصة .
فقد كان في ممارستها في هذا الوقت نوع من
التحدى لكثير من القيم والمواصفات العسكرية
السائدة . صحيح أن في مظلة الوعي من
تفكيره نجد اقتناعا جازوا بأهمية هذا النمط
القي وتبالتسه . إلا أنه خلف عدم تأييده
الواعية الحقيقية يطل على استحياء ،
بالرجوع من مراولة هذا الفن .
الناسي لكاتبه وفكرهم .
الاحساس نفسه عبر .

عنده ، فأغلب أقاصيصه
الأولى بوجه خاص تبدأ بتقديم جريته طريفة
تمهد لرواية الأقصوصة وتجنب الى القارئ
مباينها وكأنه يستشعر احتياجا حقيقيا الى
تبرير كتابته للأقصوصة من البداية . والى
تهينة الجو المهد لسرد أحداثها . هذا فضلا
عن لجوءه الى محاكاة القارئ ومناقشته بمسط
أحداث الأقصوصة - بشكل مباشر في بعض
جريئاتها ، مثلما نجد في (سخرية الناي) ،
و (قصة عفرت) . لكن هذا المنهج التبريري
قد أخذ - لا نقول في الثلاثي ، ولكن يمكننا
أن نقول - في النصج على طول رحلته
القصصية . فبعد أن كان الحدث المهد
للأقصوصة نوعا من الطوائف الاجتماعية التي
ستحلل الحكايات ، أصبح مقدمة تمهدة
تدخل أحيانا في صلب الأسلوب البنائي
لمعمار هذه الأقصوصة ولحيكها . وبعد أن كان
هذا المنطلق التبريري يستغرق جزءا كبيرا من
اهتمام الكاتب والقارئ على السواء الى الحد
الذي تتنوع فيه المحاور في الأقصوصة الواحدة

في بلورتها والتأكيد عليها • كما أن أسر الحدث أو القصة جميعها داخل إطار الرؤية المحدودة - الخاصة لمن يسردها عبر المطلق التمهيدى ، وعدم تقديم الأحداث وحدها ، يساهم في تعميق ميلودراميتها من جهة ، ويؤدي الى تسطيحها وإهمال الكثير من أبعادها من جهة ثانية وخاصة الأبعاد النفسية التي تلمس غيابها تماما من أفق معظم الإقصائين .

غير أن استسلاما لأعراس مثالب هذا الأسلوب الفني ، قد يمتد بنا عن الموضوعية دنيلا - لأن مناقشة هذه المثالب عبر حداثتي العاري المعاصر الذي شهد تبلور الإقصوصه ونموها الكبير خلال السنوات الأربعين التي مضت على الفترة التي كان طاهر لاشين يمارس الكتابة فيها ، لا يتواءم بأي حال مع طبيعته المناخ الثقافي الذي صورت فيه هذه الإقصائين والذي ما كان يرى أي غبار على انتهاج هذا الأسلوب . اللهم الا اذا أدى الأسراف فيه الى تعدد الجوارى في الأقصوصة ، وهذا ما لم يحدث الا في عدد محدود من أقاصيص كاتينا . ومن هنا نلاحظ كيف مازالت هذه الجزئية لا تعطينا ما كنا نحتاجه من نقد كبير من القراء الممارسين لهذا الأسلوب . وفي المأساة في تهشيم الحوارات السبئية بين هذا الفن الذي خرج حديثا على أصول لفاعات اسرية أسلوبيا ومضمونا وبين القارئ المتمسك بالذهنية التقليدية • ولا نهضها فيها في تطوير هذا الفن الواعد - لاحظ أن ثقافة المدرسة الحديثة كانت أوروبية في أغلبها (١٣) - لطبيعية واقعا المصري دون تجاهل تقاليده وتراثه بشكل قاطع • ودون تعال على الذهنية المصرية التي تميل الى البناء السببي لمحاكاة حتى يستطيع أن تتجاوز معها • خاصة وأنها قد لاحظنا أن طاهر لاشين كان حريصا على تخليص قصصه تدريجيا من هذه التزديدات والعمل على الاقتراب بها كثيرا من مواقع الفن الصحيح الكامن في التركيز الشديد • وحتى نرى كيف حقق طاهر لاشين هذه الغاية ، أو نتعرف على حقيقة الخطوات التي قطعها في طريقها • علينا أن نلمس إبعاد عالم الإقصوصي وأن نتعرف على بنية الملامح الفنية للأقصوصة عنده •

(تمة البحث في العدد القادم)

الميلودرامية ولجوها للشبح بالاسي • اما القصة الأخيرة في هذه المجموعة وهي (أخرج سادة في حياتي المدرسية) فانها تكاد أن تكون القصة الوحيدة الحالية من آية مقدمات تبريرية وإن كانت من البداية تخرج من دائرة القصة بفهومها الفني ، الا أننا نحس بأن الكاتب قد فطن عبرها الى ضرورة حذف المقدمة التمهيدية للقصة ، والتي تبدو هنا وكأنها مستترة وتقديرها ، أن هذه ليست سوى لوحة كاريكاتورية أطلقت على فجأة من أعصاني الذكريات •

ولقد ترك ميل طاهر لاشين الى البحث عن مقدمة تمهيدية أو منطلق تبريري للأقصوصة - وهو ميل يحمل بصمات المرحلة التاريخية التي صدر فيها - آثاره ليس فقط على شكل الأقصوصة عنده ، ولكن أيضا على موضوعها • فنزوع الكاتب الى التمهيد لبعض أقاصيصه ، سواء أكان هذا التمهيد مستترا أو سافرا ، مندمجا في البناء الفني أو ناشزا عنه ، يحل محل دواة محورا أصعبا للقصة من جهة ، يساهم في عقلنة أو هندسة بعض أحداثها من جهة أخرى • وهذا شيان محبطين من الفاعلية الفنية ، خاصة وأنه يعيد في أسلوب - خاصة الى رواية القصة على لسان شخص ، يحدث الى آخر - مثل (التقاب الطائر) و (تحت عجلة الحياة) و (قصة عريت) - أو يكتب اليه مثل (الحب يلهو) - أو يروي عنه - مثل (لون الحجل) و (الشيخ محمد اليامي) و (الشبح المائل في المرأة) وأغلب الإقصائين - أو يتصفح مذكراته - مثل (مذكرات سيدينا بوح) - وهذا الأسلوب في البناء الإقصوصي يفرس على الإقصائين أن تكون في أغلبها أقاصيص أحداث لأشخاصيات • لأن التمهيد يميل عادة الى استدعاء حادثة متميزة عن مجريات الامور المألوفة وحافلة بالعبر والمظات • والا لما كانت تمة ضرورة لها • وهذه واحدة من آثار هذه المنطلقات التبريرية على عالمه القصصي تتبدى عبر هذا الاعراق النسبي في الميلودرامية والأحداث اللامالوفة الرائقة الدلالات يساهم في إبراز هذه السمة وتضخيمها ، ميل كاتينا - خضوعا منه للذهنية التقليدية في هذه الفترة - الى الخروج بمغلة أو حبكة واضحة يساهم السرد القصصي



مكتبة المجلة

السارف و المسروق

قصص قصيرة لغتي ضوان

نقد:
د. شكرى محمد عياد

إن من ضمن الخاصة لا يستطيع أن يكون شاعرًا ، فهو من رحال الدين سياسى أيضا .

هكذا يؤرخ بيروني في تاريخه عن السارف في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، وهو قد اشبهن بالسياسة منذ فجر شبابه ، و أنه استطاع أن يكون شيعيًا آخرًا بعد ذلك وعلى الرغم من أنه كتب دراسات أدبية وقصصا ومسرحيات ، فقد كان في كل ذلك سياسيًا : اعني مفكرًا سياسيًا يعبر عن أفكاره من خلال الأدب ، لا مجرد الأدب ملتزم . ولعلنا إنظروا إذا قلنا أننا نستطيع أن نسبع تفكيره السياسى ، ونوضح نام ، من خلال أعماله الأدبية .

هو تفكير سياسى ثورى ، ومعنى أن المحور الذى يدور حوله هو التغيير السريع ، بل الفاجئ . والتفسير الذى يستأثر بانتباه القارئ الممثل هو التعبير الذى يجرى في نفسه الفرد ، فهذا تسرع الحركة وتقدم ، في حين قلنا إذا نظرنا إلى الخلفية الاجتماعية ، بدت لنا شيء سائتة . وقد يكون من المقدر والممتع أن نتبع هذه الفكرة في أعمال الاستاذ شفي رصاوى ، وأن نحاول تفسيرها بطبيعه

المعمر الذى نضع منه قريبا ، ولقلنا هنا تكفى بأن نسجلها اعتمادا على قراءة بعض أعماله ، لنخلص سريعًا إلى نظرة أكثر تفصيلًا في مجموعته القصصية «السارق والمسروق» .

وإذا كان المدخل السياسى إلى فن الكاتب الأدبى هو المدخل الصحيح ، فيحسن أن تبدأ بقصة ذات موضوع سياسى طاهر نرى إلى أى حد ستمثل فيها تفكيره السياسى من ناحية ، ولنحاول أن نعرض على ضوءها سائر قصص المجموعة من ناحية أخرى .

لعل هذا الوصف لينطبق على قصة من قصص المجموعة . كما ينطبق على قصة «من قتلته» ، صفوان الاحدب أو صفوان بك الاحدب لرى يقيم في قصر ذى حديقة واسعة في حي من احياء القاهرة ، ويقول عنه أهمل الحى «أنه كان يستخدم الإنجليز و السودان ، وأنه اقبنى ثروة هناك» ، ويقولون منه أيضا « أنه مزواج مطلق وإن حرفته الأصيلة هى البحث عن اراميل ندم بين السن ، مملكن مالا ، لسزوجهن ، رشا مجردهن من مألين وإن اكثرهن مات بعد عاين أو ثلاثة من بده حياتهن الزوجية معه» ، ولمنعون إلى أن الصدفه وحدها لم

تكن المستولمة من هذه الوفيات
المخالفات ..

هو اذن رجل يقضي لدى اهل
الحي ، وليس سور «الفر والفر»
هو الحائل الوحيد بينه وبينهم ،
فانزل مع ذلك ظل لثقت القلب ،
وقد انطبع في مخيلة راي الفصه
مد كال طفل ، صورة من فضاخ
صفوان الاحدب ، حين دخل الصبي
الى حديقة القصر الواسعة ليلعب
كره سقط فيها اناء الذهب ، وصح
ان البواب سمح له بذلك فقد شتمه
صاحب القصر واتهره ، وصح ان
الصبي خرج من حديقة القصر بضغن
كره فقد كان بضغن معها شعورا
بالاعانة ..

واستنجد الصبي من احاديث اهل
الحي عن صفوان الاحدب انه خالي
لوطنه وقال في خبيس ، وامدله ايام
مما زاد عداوته للرجل عقلا . را
بوما وهو يتزعج السوط من يد سالي
مرسه ليجري به على راسه ..
يعمل في طلاء بعض حجرات الاحدب
وراء مرة اخرى - اناء نوره ١٩٩٩-
يطرد جماعة من الشبان كانوا يحرقون
طالبها جريحا انقضوه في منزله .

« ولا ماب طالب الذهب ، يصعد
هذا الحادث بابام ، وشيئت جنازته ،
كان الناس يهفون في هذه الحنارة ،
الى تحول كساد تلك الايام الى
مظاهرة : لسيف الانجليز ! وكنت
احب وحدي ، بيتي وبين نفسي :
لسيف صفوان الاحدب ! ولا كان
المختارون بلوحو مادمهم في الهواء
الموب للخنوة ! كانت قبضتي تجتمع
في شدة ، وترفع في الهواء مصصيه ،
صارخا : لموت للخلي !»

هكذا تركب عداوة بطل القصة
للمسمرين ، في عداوة لفرد ،
واستحالت الحركة الاجتماعية معركة
بنفسه :

« واخضع الاحدب لمرافبي

التمسدة ، تلقذا برؤسة فيساجه
وسفطانه ، وكنت استمع ونظب
بعض بكشف جاني سيء من جوانب
فطائمه ، وسوقيه ، واعتدائه على
الصمغاء ، وسبه للفراخ والضم ،
وبياحه بعرسه العسافرة وتلويعه
بمشائه العديدة ، داخل حديقة
وامام داره ..

وبدأت احلام العفلة عندي تتلون
بلون جديد ..

« بدأت احلم بقتل صفوان
الاحدب ..

ولكن رايه نفسي اكن في ركن من
اركان المدينة ، حتى اذا نزل الاحدب
من درج السلم اسرعت اليه بسكين
اخفيه في طيات ثيابي .. واتهلب عليه
طفا ..

« وكنت بدمت جدار مره
في الطائفة الى حجرة لونه زرقه
بهر خنقا مخاوا ان ..

« في ذلك اليوم
من بعد ذلك ..
وسعد انفسه بصدرة ، وناول عليه
قائمة الايام : لقد خا - استعجز
السودان ، وحجم نرويه من حرام ،
وعرب الناس واذاهم ، وطرد
الوطني ، ثم الحمد الخنجر في صدره
واسمع شهقة عميقة ، واقبح من
حلمي ..

« ثم لا البث حتى ادى نفسي مصدا
حتى الاحدب ، في طريق خال ، ويدي
ممسس ، تم اقرب منه ، ومرصاصة
واحدة ، في الظهر ، لا بل في الصدر
اردة ، وفيما هو يلفظ انفسه ،
اعلى . اتني يد القانون العادلة ..

تم استبعاد كل هذه الاحلام ،
واصغا انها بالعينية ، واكثر في
مشروعات مدروسة ، تسلمت بدورها
الى احلامي الرهيبة .

ولكن شئنا غريبا بعدت . لقد فعل
صفوان الاحدب . قتله الطافي الذي

كان يعمل عنده فاجاه سكين في ركن
من اركان المنزل ، مثلما كان يحفل
بظل القصة ..

وراح البطل يسأل نفسه : هل
يمكن ان تكون هذا الطافي شيئا
بجسده رويحي ؟

واصبح همه ان يرى هذا الغافل .
لم يستطع ان يراه في اناء التحقيق ،
ولم تفتح الصور الباهية التي شرها
له الصحف ، فراح خياله يجسد له :
« اسبانا تيبلا ، سواء كان شاحيا
ساعما متعرا ، ام كان حساسا
سدي الطافه ، ام كان خزيئا واجما ،
نادما على جرمته ..»

ومضى زمن ، وكادت صورة الاحدب
تختفي من مخيلة بطل القصة ، الى
ان وقعت المفاجاة الاخيرة ..

لقد دممت فسيه مقتل الاحدب الى
الحكمة . وشبه الفرصه اخيرا لرى
البطل هذا التفتي الآخر من نفسه ..

واصبرت انا من الفص ، حتى
جاء على يد حذو من الغافل
ونظرت طويلا الى وجهه .. فلماذا

وجه ليس فيه تعبير واحد عن أي
شئ .. وانتدب اليه يد برغيف
عليها ، بضمها ، وهو سلط ،
وقسم فيه قطع من اللحم ، فاهوى
وطالت وقفي امامه ، وهو لا يشعر
بي ، ولا يثقت الي ، الا انه اخيرا
قال لي : (وحياتك بالاندي نادى
في الراء التي هناك ، واشتار الى
الى سيفة بردي ملاوة لف سوداء

«ولست ادري لماذا غلي الدم في
راسي ، خفا على هذا الرجل .. بعد
خبب ظني بماعا ، وحلم كل ما بناء
حياتي ، فهو اقرب الى الحيوانات
الدبيته منه الى البشر ، فهو لم يعمل
حتى الى مستوى الحرمان الفتاة ،
الذين ماتت الرحمة في قلوبهم ، وبدت
الظلمة في وجوههم ، واستحالوا الى
وحوش كواسر ، فلما كان هذا الغافل
تافها وحقا الى هذه الدرجة ، فما

الذى اغراء على ارتكاب هذه الجريمة الى داعيت خيالي ، وبدت لي املا؟ لماذا قتل صغوان الاحديب ولم يمل سواء ؟ افعله ليرسك بعوده ، وليعول اكثر من مرة ، وكان لمامه سيل على صدره : وحياه شرك ما سعادته اليانا مظلوم .. ثم لسد الطرق على فائق آخر ، من الطراز الذى صورته ، والذى كان جديرا ان يقع في الحكمة ان هو وقع في يد الحكومة ، لئلى خطانا رنانا بطل فيه سيناب صغوان الاحديب وجرائمه .. او هل يكون المهم برشا فضلا ، وتكون التنبهات التى احاطت به قاتله ، ليجرد انه كان يعمل عند القتل ، ولان حذاء المجهود ملوفا بدم ، الى اخر هذه القرائن التى لا نخلو من مثلا جنابة قبل ؟ ..

فإذا كان برشا فمن يكون المات ؟ اكون انا الذى قبلت الاحديب في لحظة او ساعة من الساعات التى كتبت نسي فيها بعض لفرط استغرافي في الفكر والتدبير من اجل هذه الجريمة التى اسلمت لي حبيبتى العواجم الطعيفة والقيال ..

وبلوت من جديد الى المهمل في فصوص الاتهام ، وروى ان اقول كما : لا بد لك في هذه الجريمة ، وواحدى المسئول ، فل ذلك للفساد ، وسأشرف انا

واحسنت بان جيبتي قد نفصه بعرق يارد ، وان الدنيا تدور لي ، ولدور امانى في ان الواحد .. وهمست لنفسى وانا اكاد الطلغ افاسي : هذا الانسان التافه ، الذى يعقم لفعة الخبز ، كانه فار يلغرض شيئا ، هو انا .. هو الانسان الذى استطاع ان ينظف في حدود ويشر حوجه الجريمة التى جيت عن ارتكابها .. انه الجانب البليد ، الذى لا يكار يعص ، ولا يهيم راي الناس ، ولا حكم القانون ..

واشبهت بوجهي عنه ، واحسنت بعمد معاجز ، من الفوه ، فلهبت اعنو من فاعة الحكمة ..

الاساذ فحي رضوان مفكر سياسي مبرع عن افكاره من خلال الادب ، وان مفكره السياسي الثوري ، يرتكز على الفرد اكثر من ارتكازه على المجموع ؟ قد يبدو من هذا العرض لنفسه « من قلته ؟ » ان الموضوع السياسي غير جوهرى في القصة ، وان شعور الكره والمداوة نحو صغوان الاحديب كان يمكن ان - نمو لاي سبب آخر غير خيائته لوته وتماثيه على اشياء جنسه ، تبيى العقدة الاسلية رغم ذلك هي تفكر البطل ، الذى يمكننا ان نصوره شاما حاليا حساسا ، لا الاقدام على قلته ، والمفاجاة التى - تظهر في النهاية حين يتم القتل فعلا ولكن على يد شخص آخر حال خلوا ناما من الخيال والخصامية ، بل من الدلاء الانساني البسيط . وهنا احب ان اعيد القارئ الى صمد هذا المثل ، حيث فطم فيه « من قلته ؟ » على انها « في موضوع سياسي ظاهر » . فالموضوع السياسي في هذه القصة - مثل عدو من اعداء « موضوع » ، حتى ان « موضوع » ، « موضوع » ، « موضوع » ، فلماذا احبل الكتاب هذه العاصيب السكية اكثره لاسى مداوة البطل لصغوان الاحديب ؟ الا يدل ذلك على اهتمام اصبل بالسياسة ؟

لا تكاد تصنع هذا السؤال حتى بغوم اماننا سؤال آخر : اذا كان اهتمام الكاتب سياسيا اصيلا ، فلماذا ارتكزت العقدة على جريمة القتل التى حالم بها شخص ما ، ونظلمها شخص آخر مختلف كل الاختلاف عن ذلك الحالم ؟

هنا نشتر ، ان صفق فنى ، على نتائج اساسي في فن فنى رضوان ، ولعل لهذا التناقض صصلة بتفكره السياسي ، ولكنني لا اريد في هذا المجال ، ان اوسع النقاش الى ابعاد من حدود النصح الفنى ، بل حدود هذه المجموعة القصصية بالذات . ان الفكر السياسي - بطبيعته - بهم مصلاب الحياء الاحساسية اثر مما يهتم بالمعطيات النفسية الفردية.

ولذلك فان مشكلة التعبير الفنى عند الفنان ذى الفكر السياسي تصبح ابعاد منها عند فخره ، كما ان الالتزام السياسي يبعث امامه صعوبات فنية تنوق في شدتها المصائب التى يعاينها حين تكون الافكار السياسية مادام مواد العلق الفنى التى تدخل في عمله على غير وجهي عنه .

والمشكلة عند الاساذ فنى رضوان مضاعفة . فهو ليس مفكرا سياسيا بمارس الخلق الفنى فحسب ، ولكنه مفكر سياسي يرتكز تفكره السياسي نفسه ، وربما كان هذا هو سبب ابعاجه الى الطلق الفنى - الى تأكيد فية الفرد اكثر من فية المجموع . ولهذا يستحيل الموضوع السياسي نفسه الى صراع نفسي . وفي هذا الصراع يبرز عبكرا « الشق الآخر » ، وكلها نوع من التحويل من فيات المجموع .

ان ابطال هذه المجموعة يعيشون في غياش نفسي . قد يستمر هذا الانسان سئين ، وقد يكون غليقا كامتا كاللابة في بطن الزبكان ، ولكنه ينتهي دائما الى نوع من الانفجار ، لهذه ، اكثر من اى موضوع سياسي ظاهر ، يمكننا ان نعمل ان فصوص فنى رضوان لبر من تفكره السياسي الثوري . ولكن الانفجار يشتفى عن شيء قريب : انه شمعنى عن « الشق الآخر » ، وهو اشبه بفردية موهومة ، فردية قد تكون افسل ان اسوا من الفردية الاولى ، ولكنها على كل حال مختلفة منها كل الاختلاف .

هذا هو الجرى الذى تسر فيه جميع فصوص هذه المجموعة ، على فاولت بينها في مقدار البساطة او التعقيد . وان المرء ليتبين من فراءة هذه المجموعة وهو مسال : هل الاستاذ فنى رضوان سياسي لم يستطيع ان ينسى السياسة حين اشتغل بالنطق الفنى ، ام نراه ، آخر الامر ، فنان لم تستطع السياسية ان يحويه ؟



الصوت المتردد

دراسة في القصة القصيرة

ARCHIVE

والدة كبرى ، فالتفت لوحاته المصنوعة منه على قصائده ، كما كان العكس صحيح ، ويرى كيف تعمل ملكته كذلك شاعرا رساما ، وهو ما يزال ينتظر الدارس الذي يفسر أعماله الشعرية على ضوء لوحاته ، والعكس صحيح ويرى كيف تعمل ملكته الزوجية في محيطي الشعر والرسام.

وصاحب الكتاب الذي اقمعه للبراءة رائد من رواد القصة القصيرة في القرن العشرين ، ومن الصعب العثور على منتخب في القصة القصيرة (على كثرة هذه المنتخبات) يشتمل من عمل أو أكثر لفرانك أوكونور . وهو الى جانب ذلك ناقد نشيط ، ففى جانبيا كبيرا من حياته يعمل كسباج في الجاسعة ، وخارجها ، كيف يطورون فهم ، ويعطيهم خلاصة تجاربه الإبداعية بحثا وابتساما كتب من قبل كسبا في نقد الرواية

مع الفواقر الشمالية في الحديث الإدي أن هناك مجموعة من النقاد كانوا قد مارسوا عملية الإبداع الفني في فترة من فترات حياتهم ، لم غلب عليهم التخصص في النقد (ولا أقول حرفة النقد) ، فانقطعوا عن عملية الخلق الفني ، وأن حاولوا استصدارها ، على اختلاف في درجات النجاح في ذلك ، من خلال مايقولون . ومن الفواقر الأقل شيوعا في هذا الحرف أن بعض النقاد استطاعوا أن يستنروا فتاتين مبدعين بدراسة عالية من الفصولة ، وهذه ظاهرة ينبغي أن يسجلها الدارس بيزيمن الاهتمام ، ليرى كيف تعمل تلك الوهبة الزوجية ، وكيف تغيد ، في جانبها الإبداعي ، من النقد ، وفي جانبها النقدي ، من الإبداع . وقد جمع هذه الوهبة الزوجية من فن وفن . ولهم نيك شاعرا رساما ، وقد افاد الفن من جوهته الزوجية تلك

تأليف :
فرانك أوكونور
دار ماكجيل - لندن ١٩٦٣

عرض :
د. محمود الربيعي

وارتكز على أساس معين هو اختيار المعالجة الرأسية بدل الطولية للموضوع ، وتلجبر طاقات المؤلف الواحد بتبسيط الفسوف على نغمة النحول فيه . ان الذي يقف على التخلي تاح له رؤية الجاهي الطريق ، والذي يتجر نغمة النحول في المؤلف الواحد يتاح له ان يجمع الماضي والحاضر والمستقبل في بؤره واحده مائلة للعيان ، بحيث تظهر هذه الازمنة وانها لحظات متعاصرة .

في داخل هذه الافكار العامة يتنقل المؤلف في مقدمة الكتاب ، من الفصص الأمريكي ، حيث يستشهد بلن شرودر اندرسون ، وياواوز ، وسالانجر ، الى ايرلندا ، مسقط راسه ، حيث يعطى معنى لفصص اديث سويرفيل وجورج مور ، والى روسيا ، حيث يكتب صفحات متعاصرة عن ادب ليسكوف ، وتنتهي المقدمة بمناقشة القول القائل بان الرواية ماتت ، وكذلك القصة القصيرة . وعون المؤلف انه اكثر استعدادا للتسليم بان الشعر والمسرح قد مالا ، ذلك لانهم فائس بالتيار ، اما الرواية والقصص القصيرة فهما تطور حيزي للغاية في بدايتي تقيقت مع الحياة الحديثة بكل جوانبها . وهو لا يرى شيء اخر مخلصها ، الا في حالة واحدة هي حدوث انقلاب عام في الثقافة ، وسيادة الفوضى .

وحين ناتي الى صلب الكتاب نرصاد شعورنا بالمؤلف فنانا بعيدا اكثر منه نالفا . فهو محترقا ، وهو يقسم الكتاب الى احد عشر فصلا قصيرا ، تشبه في مجموعها ، احدى عشرة قصة قصيرة جميلة . يسبق ذلك في العناوين التي يسمها لهذه الفصول ، وعضها مأخوذ فعلا من عناوين قصص قصيرة من مثل «مكان نيليف حسن الاقامة» لهنتواي وينصح بصورة اشد ، واكثر امتعاضا في اسلوب معالجة المادة الفنية التي اختارها للمناقشة في هذه الفصول . ان المؤلف لا يتعد كثيرا ، ولا يقن كثيرا وهو لا يعمل على مستوى نظري ، او في فراغ ، انه يضع يديه بل يفرقهما .

في النصوص ، وشعره دافيا ماته يعمل في دائرة احصائه الفنية التي يعرف دورها وسالكها امام المعرفة . انه ناقد متواضع ، لا ينظر الى النص من عل ، وانما يعمل دائما من خلاله . انه لا يعمل صولجانا بسيطر به ، ولكنه يعمل مصباحا نفسيه به . وليس معنى هذا انه يقدر ولا يحكم ، وانما معناه فحسب انه لا يحكم الا بعد ان يقدر ، ويكون التفسير نفسه طريقه الى اقتراح الحكم .

وفي المكتاب دراساسب الادب «رجينيل» «موباسان» «موتشكوف» «كبلنج» و «جويس» و «كازين» «مانسفيلد» و «اسحق زابل» و «ماري لان» .

ولقد درست اعمال هؤلاء الرواد مرة بعد مرة ، ولكن ليس معنى هذا ان كتاب فرانك اوكوبور محدد دراسه اخرى ضافه الى قائمه حيزي للدراسات . انه يقدم لحسه جديده وهي تحسبه شخصية في الكتب الاخرى لكن كسل في الاختيار ، بالشاره كانت الصفراء ، في وضع يده على العناوين الدلائل الفنية في فن كل واحد من هؤلاء ، او بعبارة اخرى يقف على منطوق الطريق لتتاح له رؤية جوانب متعددة من فن كل واحد منهم في وقت واحد . كذلك فهو يشد انصاريا الى المحور الفنتسي والفني الذي يدور عليه إنتاج الفنان ، فالتنا بعد ذلك نقرأ هذا الفنان اول مرة حين نراه في هذا الفسوف الجديد .

ان ترجيف يصدر عن موففواحد متكامل ، اليه تعود كل المواقف ، وهو موقف الفنان ، الحساس ، الشاعري ، المفكر ، الذي لا يرضى عنه نفسه ككل هذه الصفات ، ويرى انه مثل هاملت الذي لم يفعل شيئا ، لمدة طويلة ، سوى انه لقد يتناجب نفسه . بينما هو موجب كل الإعجاب بالتياس العمليين الاقوياء ، الذين

يمثلهم ، في نظره ، كيثوت ، في فسه «جورج كاليش» «قديم لنا الاول على انه فلف ، وفوي ، وذي ، وعمل ، بينما كاليش حسانه ، يعرف على الالبانكا ، ويقدم لنا خور على انه لا يعرف الفراءواكنايه ، ولا يرى انه في حاجة الى شيء ينقله من الكتب ، سيما كالس حسد للبراء والكتابة . ومن خلال هذه النقطة ، التي يركز عليها المؤلف تركيزا بالغا ، بغرض ، لن ترجيف العصص ، ولأعماله ذاب النصول النسي ، معجدا الفروق الفكرية والفنية بين القائلين .

وموباسان ، في نظر المؤلف ، هو ابو الفلم السينمائي ، اللاتي يقدمن من التضييحات في الواقع مالا يندسه هؤلاء الذين يملهم الخصب على انهم شرفاء ، واللاتي يحفل بوعسى بالشاره الدينية الضميمة الى سانس ساما مع وقيلين في الجمع ، هنا بعر المؤلف ، بطريقة فاطة ، وفوق موباسان تصب التاتير الجباري لدورس . ان عالم موباسان عالم فنتسي ، والفوضويات التي يعالجها المؤلف تعاد لصل احيانا الى حسد الافداع ، ولكنه كان متغلا بها ، وليس به متحول على يديه ، التي قصص جميلة . لقد كان فنتسانا اعلا ، وشخصية مسقة في الوقت نفسه ، وكاتب مناع الهامه جنسية ، والجنس متبسع خطر للاهتمام ، ان سرعان ما نصبح العصص ، التي كانت في اصلها احتجابا عاطفيا على استغلال الجنس ، وامتنانه ، معقد طريقة اخرى لاسطلاله ، وامتنانه . لكن موباسان كان مطلقا لفنتسي ، وللجماعة المقنونة ، التي اختارها موضوعا لذلك الفن ، وهي جماعسة النمايا . وقد دعاه ذلك الاخلاص الى ان يعيش الضاء الجنسية لهذه الجماعة المقنونة في زمنه ، وبوت مونها ، كل ذلك لسكن من كتابه نفسها على نحو جيد وصادق . ان الطبيب الذي اشرف على عميلاج موباسان في الصفحة المتعلية سجل عنه القيارة التالية في ايامه الاخيرة .

« ان السيد دي موباسان يرتد الى

الحيوانية » . وهكذا يصعد الكلام القائل بأننا ننشئ مائتي حيوان ننشئ إلى الطول فيه .

أما نمطه الارتكازي في موفستنيكوف اللغوي والنحوي ، في نظر المؤلف ، فهي أنه استطاع ، وهو ابن رقيق من أرقاء الأرض ، أن يقتصر من نفسه دم اليهودية فطره قطميرة ، حتى أحس ، وهو يسيكف ذات صباح ، أن الدم الذي يجري في عروقها دم حقيقي ، وليس دم عبد . في هذا الفصل يعطى المؤلف غناية خاصة لآثر موباسان على شيكوف في مراحل الأولى ، ويحدد السنة ، التي استلهم فيها شيكوف كتمان ، بمعاد الأساس والمتميزين ، حين استطاع أن يعرض في نفسه الإحساس بالتماء الإنساني . وسبق هذا الاستقلال ، على وجه التحديد ، في قصة قصة التماسك إلى يمدف فيها سائق عربية محزوز أناته ، ويعاول أن يسكنه .

لربما أنه الإضفاء المتحولين عنه . ولا لم يمتعه أحد الولف ، ولا المشاركة الوجدانية المطلوبة بلذهب أحسنه . الليل إلى العظيمة لشكوا إلى حبس فيمجز ، أملا في أن يجد لديه السلام بعده عند أحده الإحساس . هنا كان المؤلف العوامل التي حكمت بظهوره . القالب منذ شيكوف ، وملاحقه . في ركيزه على الأنام الصغيرة ، ياء أن لها هي التي تهدم الشخصية الإنسانية ، وليست الأنام الكبيرة ، ومن تسلط فكرة الإحساس بالغرور الإنساني عليه . أن شيكوف عبس الزيف ، ومولع بكشفه ، وهو يؤمن بالحياة أمانا وحما ومجزنا . ولكنه أمان جميل . وجهاده المفعورة إلى أوصف فيه لنا من خلالها هي جماعته المتفنين الذين كانوا يعاملون بوحشية في روسيا الصغيرة كالإطباء والمدرسين .

وعندما نقدم المؤلف لدراسة فن كيلنج نعلن فيه بعض أعماله ، وتردده في الوقت نفسه ، في أن سلكه بين انزواء من أمثال ترجيف ، وموباسان وشيكوف . وهو ، على الرغم من حبه له في بعض مآكث ، بهمه بالزيف

منذ القصة الأولى إلى بضارها له ، وهي قصة «اليساني» . وعيب كيلنج في نظر المؤلف ، أنه لا يحفظ بعينه متوحدة على الموضوع الذي يعالجه ، وإنما ينظر في الجمهور ، وفي التأثير الذي يمكن أن تحدثه القصة عليه . هذا الإحساس بالجمهور ، على حساب الإحساس بالموضوع ، يورث كيلنج في الأسلوب الخطائي الذي يزل إلى مستوى النوع ، والضحك ، والفقه ، كما أنه يجعل قصصه أقرب إلى الملوذاما المكمورة منها إلى القصة القصيرة الحديثة . ومن العيوب الأخرى - طريقة عند كيلنج أنه لا يبحث في فائدة مصوب آساني موحدة ولكنه سحبت على أنه واحد في مجموعة . أنه عضو في جماعة الطبقة الحاكمة في الهند في القرن التاسع عشر .

كيلنج أخفق في أن تتناول الموضوع الوحيد الذي يحب . سألته كاتب

الزيف .

الزيف .

الزيف .

الزيف .

تصوير . وأخيرا يصل بين موضوعات القصة القصيرة عند جويس ، وبين أعماله الروائية مثل «صورة الفنان في شبابه» ، «بوليسيا» ، «مينا إن هذا العالم ذا الموضوعات الخطيرة لاصلة له عالم القصة القصيرة الذي ننشئ أن يخلق الآسي من الأحداث القصيرة .

ويكشف أوكونور في الفصل التالي عن سر الأسطورة التي أحاطت بكاترين مانسفيلد ، والتي تصورنا على أنها الفتاة النارية التي تتزوج من رجل غيب محروم من قوة الخيال الخالق ، فيرى أنها أسطورة مبالغ فيها . وفي محاولة لسرد أعمالها ، وبخاصة القصص التي تدور حول موضوع الجنس ، يذهب إلى أن كاترين مانسفيلد كانت لديها اتجاهات بدخل في مجال «الشلو الجنسي» حسب بياضت سيجارها الجنسية ، أعادها منها بأن الإمبراز الفكري الذي جعله الرجال أنها يعود إلى العربة سمون بها ، دون النساء ،

في أ - تراخيم الحبس ومن هنا في كانه مصطفة . لم يسبق إليها في أي من أعمالها ، وأتمسا وقسم مكانه كاترين مانسفيلد . يضاف إلى عصر الاصطاح هذا عندما أنها أخفصل أن نظلمتها «جماعة مقهورة» ، وذلك مسالة أساسية في فن القصة القصيرة كما سبق . لقد كاتب كاترين مانسفيلد امرأة ذكية ، وجريئة ، ومنسرجلة ، ولقتها كاتب على خطأ من البداية إلى النهاية . وقد أدركت ذلك في أواخرها حينها ، حين كتبت عن إحدى شخصياتها تقول : « لقد عاشت ، منذ القدم وفيه يمكن أن الأصل للحياة الزلية » . ويصر في المؤلف لبعض التماسك بينهما وبين شيكوف ، ولكنه يذهب إلى أنها لم توفق مطلقا في استخدام طريقه شيكوف الفنية استخداما صحيحا . أن القصص التي ستحق الإعجاب عند كاترين مانسفيلد هي القصص

التي كنتها بعد موت أخيهما من حياتهما مما ، ومن طولتهما بصفة خاصة ، حيث استطاعت أن تنفذ بغيرتها الخاصة الى عالم ماوراء الشور نفسا بذكرنا بصفة فعله بروس .

بعد هذا الفصل من التفد القاسي لفن كاترين مانفيلد يأتي فصل من د. هـ. لورنس . وكنت تصور أن يلي بعد لورنس مباشرة الفصل الذي عنده المؤلف لكويارد ، ذلك أن بين هذين الكتائين أرضا مشتركة يلج عليها أوكونور دائما هي اعتبارهما معا من الطبقة العاملة الإنجليزية ، ومحاولتهما معا التخلص من رواسب هذه الطبقة . غير أن الفصلين اللذين يتحدثان عن لورنس وكويارد يفضل بينهما بدراسة فن همنجواي . يقرن المؤلف في دراسته للورنس بينه وبين كويارد ، أن الأول فنان بالفريزة يستطيع أن ينفذ الى الصالحات الطبيعى نفاذا لإشارته فيه فنان آخر ، أما كويارد فهو خجول متان ، يقوم فنه على الملاحظة الدقيقة التي تستطيع أن تبني متفرا طبيعيا بصفة فاحصة لا ينفذ عليها لورنس . لورنس ينفذ نفسه في النظر الشبيهة أما كويارد فانه ينفذته ليمانه فيما بعد . ويستمر المؤلف في تحليل فن لورنس في القصة القصيرة ، وبعدت العوامل العامة التي أثرت على فنه كتطبيق أهمية بالغة على الفريزة ، وهو في ذلك متأثر بروس الذي يؤمن بالرجل الطبيعي ، وكتألمه المجتمع الطبقي ، وسعيه التواصل للاستقام ل فنه من ذلك المجتمع من طريق اللالال الجنسي للأفراد . وهناباشي المؤلف مسألة لابد أن تعرض لكل من يدرس فن د. هـ. لورنس ، وهي مسألة استخدام الجنس . أن أوكونور يرى أن الجنس مرتبط عند لورنس ، مع بعض الوجوه ، بتجربته الصولية مع الطبيعة . وتتضح هذه التجربة عنده بالاتصال العضوي الكامل ، وهي تمثل مرحلة تطور من عهد الطفولة ، قبل أن يتحدد الجنس لتحسدا فاعليا . ويهتد

الطريقة وحدها يمكن أن يفسر التوجه العجيب الذي يظهر عند لورنس عندما يصور والديه اللذين يتصالحان به اتصالا حقيقيا . كذلك يربط المؤلف بين الاتصال العضوي ، والأحاساس الديني عند لورنس ، فنحن ، من وجهة نظر لورنس ، نتقبل فسادا جارئا ، وعصافاته ، وفسوته كما فعل السيد المسيح ، رجاء أن يفر لنا من هذا الطريق . ولا يترك المؤلف لورنس قبل أن يدرس تطور الإنتاج القصصى عنده . وهناباشي يقرن بينه وبين جويس في التجارب اللغوية الجديدة التي أدخلها على إنتاجه المتأخر ، ثم يعود الى مقارنته بكويارد في عدم الرضا الاجتماعي ، والحصرى على الهروب من بيئته ، فيهيء أذهنا لكويارد ، ولكنته ينتقل الى همنجواي . وهو لى هذا الفصل بين لورنس وكويارد غير مبرور في نظري ، كما أشير . ولذلك فسنستعرض دراسة المؤلف لكويارد أولا ، ثم تعود الى همنجواي .

كان أحساس كويارد الطبقي أشد من أحساس لورنس ، وذلك لأنه يحصل على فن فخر من التعليم ، وهذا هو المطلوب ففينة صوبها في فصله بنقطة رهبة من الحسزن ورتاء النفس . ومفتاح فن كويارد ، عند المؤلف ، هو الإيمان بالقصة الشخصية . وعن ميزاته الكبرى أنه عرف تشيكوف وموياسن في فترة متأخرة من حياته ، فلم ينفذ طريقة أى منها . والحق أنه لم يجعل من تقليد أى إنسان هدفا له ، وإنما كان هدفه الوحيد الإسهال بتلابيب القارئ ، وجعله يمتست . ولذلك فهو أحسنا بذكرنا بتشيكوف ، وأحيانا بموياسن ، وأحيانا بالقصص الشعبي ، وأحيانا بالوصف الخاطف في أدب الرحلات ، ولكنه جذاب دائما . ويمتاز فن كويارد بالتقاط الأحداث الصابرة ، التي لا تلتفت نظر أحد ، ولتجربها حتى يصنع منها شيئا ذا بال ، وهو يستفيد كذلك من التئد الطباىى العرضى إنفد استفادة حين يحله

بؤرة الاهتمام لديه ، وعندما يصف أهل طبيته ، يبطى الحرية الشخصية التي نلج هو نفسه في تحقيقها ، أدراكا جديدا ، أما حين يصف أهل الطبقة الفنية فانه يسكاد بفرق ل رومانتيكية المال والجاه .

وتعود الى همنجواي فنرى أن المؤلف يبدأ الحديث عنه مؤكدا مدى تأثره بالأسلوب اللغوى الذى طوره جويس في قصصه ، وكيف أنه فاق استله في هذا المجال حين نلج لى تطبيق هذه الطريقة لا على السرد فقط ، بل على الحوار أيضا . ول مصغرى التبدليل على ذلك يصر ب المؤلف مثلا من قصة همنجواي «الثل مثل الفيلة البيضاء» ، وأن كان ينفذ هذا المثل لفنية عنصر السرد عليه ، ومن ثم فان تأثيره المسرحى تأير ضيف . وفيما مضى دلالا ، كان همنجواي كاتبها عمليا ، ولم يكن كاتبا باحثا مثل جويس ، وهو قادر على نظر أية حادثة ، مهما كانت ضئيلة ، وتحولها الى شيء يقرأ الآن ، ومنذ ربع قرن ، ما يعجبنا . وتظهر قدرته هذه بصورة أوضح عندما تكون المادة جد ضئيلة ، وعندما يستعظم عليه أن يعتمد كثيئة على مفكرته ككتاب . لكن العيب الحقيقي لى همنجواي يكمن في أنه كثيرا ما يعتمد على فنه التكنيكى لتغطية مادة تافهة ، ويمكن أن نوصف طريقته في كثير من قصصه بأنها «التكنيك يبحث عن موضوع» ، والمؤلف لا يوافق على أن يأخذ التكنيك زمام الأمر في القصة القصيرة حتى يتحول بها الى فن «صغير» ، وهو يرى أن فن حقيقى إنما هو زواج بين أهمية المادة ، وطريقة الصياغة . ويعود ، مرة أخرى ، الى قصة «الثل مثل الفيلة البيضاء» ، في سبيل اهتمامه بالثنى ، القرد الهام الوحيد فيها ، وهو موضوع الإجهاس الذى يريد العاشق ولا تريد المشغلة ، يجعل أمداد القارىء بالإجابة عن مجموعة ضرورية من الأسئلة التي تحدد نوع رد الفعل عنده . أن الجعامة المقصورة عند

همنجواى جماعة متصلة بالترفيه
أكثر مما هي متصلة بالعمل ، وهى
جماعات السلافة ، ومدربى الخيول ،
ومصارى الثيران ، وما أشبه ذلك ،
وحتى الحرب يؤخذ عنده على أنها
سليمة وترفيه عن الطيقات الثرية
التي لا عمل لها . غير أن هناك شيئا
واحدا يجده همنجواى دائما وهو
الشجاعة الجسمانية . أن المؤلف ،
بعد كل هذا الكلام عن أدب همنجواى
يقدر في نهاية الفصل ، أن الوقت لم
يحن بعد للوصول الى أية نتائج
قاطعة بالنسبة له !

لم يبدأ المؤلف كلامه عن الكتاب
الروسي بأبل بمقارنته بهمنجواى في
أن كلا منهما كان رومانتيكا عتيقا ،
ولم يحدث أن حلل بالحب والرحمة
والسلام . ويرد المؤلف هذا العذ
الى الطغلة القاسية عند كل منهما
مع اعترافه بأنه لا يعرف شيئا يذكر
عن طغلة همنجواى ؟ . يشتم بابل
بالمقال اهتماما شديدا مثل همنجواى
ولهما معا منبع مشترك في فلاديمير .
وحيال بابل الجامع هو الذي ساعد
كما ساعد طفولته الليلية المظلمة
على تصوير قطاع الطرق بكل فحشه
وبوحشية زاهية الألوان . لكن بابل
التصوير أبعد ما يكون عن الواقع في
نظر أوكونور ، الذى يخالف في ذلك
الثالث ترننج كاتب مقفلة الترجمة
الانجليزية لامسال بابل . على أن
المؤلف لا يهتم بيسكون بابل ورومانتيكا
أو واقيا قدر اهتمامه بالصراع الذي
ماشه بين المثالية والإسقاط . وبين
المادة وشهر السلاح . هذا الصراع
الذى اخضب حياة بابل الفنية ،
والذى عالج في مجموعة من قصصه
حتى انتهى عنده الى لفصيل حاسم
للمادة ، وشهر السلاح . أن بابل ،
في نظر المؤلف ، كذاب عتيق ، وقد
بالغ في وصف مظاهر العنف ، لا أنه
كان يصف عاريا ، ولكن لأنه كان
يصف ما يعتقد أنه ينبغي أن يرى .
وعلى كل حال فإن المؤلف يفضل

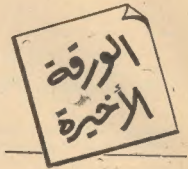
قصصه المتأخر الذى يصور فيه
التناقض بين الشيوعيين واليهود .
أخرا يتحدث الكتاب عن ادجارى
لا فن على وجه الخصوص ، وأدب
النمعة الإيرلندية على وجه العموم .
أن مارى لان لم تهتم كثيرا بالثيرة
الإيرلندية ، وأدبها غريب على الإنسان
الإيرلندي العادى ، من حيث أنه
لا يرى فيه أنرا لاسلافه ، فلى هذا
القصص من طعم القصص الروسى
أكثر ممسا فيه من طعم القصص
الإيرلندي . أن أفكارها مرتبطة بالأفكار
الاجتماعية في العصر اليكتورى ،
ولديها حساسية دينية بالغة تكسب
الإيرلنديين . أما طرفتها الغربية
فتعرب من طريقة الرواى في اهتمامها
بالتطق ، منطق المافى والحساسيات
والمنطق ، أكثر ممسا تقرب من
طريقة كاتب القصص القصيرة الذى
يولع بالحاضر ، ويرتفع عنه في نفس
الوقت أوتاما يرى منه كلا من المافى
والظفر واضحا بشفى الفارحة .

ول الكشافة حديث عن بعض
التصالح العملية في فن كتابة القصة
القصيرة . لابد أن يتم الاستفسار
بالرغوة ، ولابد لذلك من أن يدرك
القاصص الى قاع الجهل ، ولابد في
من البناء المقصود ، وهذا يقدر
أوكونور مقارنة بين القصة القصيرة
والمرحلة مؤكدا الروابط الآسوبة
بينهما . كذلك لابد من الأخلاق السراح
للخيال ، ومن التركيز ، والاستسقاء ،
عن كل ما هو غير ضرورى ، والإحفاظ
بكل ما هو ضرورى ، والحصر من
الاسترسال في الكتابة الجذبية لها
والتي لا علاقه لها بما يريد الكاتب
أن يقول ، ثم إعادة القراءة ، وإعادة
الكتابة . أن الكاتب إذا لم يستطع
قراءة إنتاجه الخاص عشرات المرات
فليس له أن يتوقع من القارئ أن
يقراء مراتين . ويعترف أوكونور بأنه
أعاد كتابة كثير من قصصه عشرات
وأعاد كتابة بعضها خمسين مرة ! .
وهكذا ينتهى الكتاب بعد أن رسم

معالم فن القصة القصيرة من خلال
التحليل الدقيق لفن مجموعة كبيرة
من روايتها .

أن هذا الكتاب واحد من مجموعة
كتب قليلة تتناول القصة القصيرة
بالدرس النظري ، غير أنه يتميز
منها بالبعد عن التتبع التسويقي ،
والنصليات المرفضة عن شروط
القصة القصيرة ، وخصائصها . أنه
أقرب الى حديث أحد مضى القصة
القصيرة عنها منه الى دراسة
منخفضة . وقد احتست من قراءه
أول مرة ، ولا أزال أحس ، أن المؤلف
كان قاسيا مع بعض الكتاب الذين
عالجهم ، وبخاصة كينج وكارن
مانسفيلد ، ولكننى لم أحس في أية
لحظة أنه كان مريضا في هذه الأحكام
أن هذا هو ما يعتقده ، وقد قدم من
التصوي ما يبرر رأيه ، وإن كان هذا
الراى لا يمكن أن يكون الامة الأخيرة
بطبيعة الحال .

كنت أرجو ألا اختتم هذا المسال
بكلمة تقليدية عن مدى فائدة الكتاب
للقارئ العربي ، ولكن يبدو أننى
سأقول ذلك . أننى أعتقد حقيقة أن
الكتاب مفيد للقارئ الصادى ،
والقارئ المتخصص ، ولكتاب القصة
القصيرة . ومن الأسباب التى تردد
من اقتنأ بهذا ، غلظة على مادارة
من قبل من أنه يقدم في كل رائد من
الرواد الذين دوسهم رايأ فريدا على
كثرة ما قدم فيهم الدارسون من آراء
أنه يتناول بالتحليل والتعريف كالتجرب
روسين يفيل الى أن معرفة القارئ
العربي بهما محدودة ، إذا قيست
بمعرفة بترجنيف ، أو موباسان ،
أو تشيكوف . هذان الكاتبان هما
ليكون الذى تتناول في المقدمة
فاعله أنه فنان لم يأخذ حقه خارج
بلاده ، ووصل نفسه بحما إلى
الشعبي ، ووضح بعض أعماله ،
واسحاق بابل الذى عقد عنه فصلا
سبق الحديث عنه .



قصص سكندرية .. في المعركة

من الطبيعي أن يحرم الأدياء عن مشاركة بلادهم في نواحيها والإسهام في رفع الإصر عنها
.. ولكن إذا قصر فن هؤلاء الأدياء عن الانضمام إلى مستوى الأحداث الخطيرة التي تعيشها البلاد،
فمن الخير لهم ولببلادهم أن يقتصروا على لايزيد على مرارة الحساسة بالنكسة، ويكفي أن يشاركوا
في إزالة آثار العدوان بمختلف الأساليب التي يشاركون بها غيرهم من المواطنين الشرفاء العاديين،
ممن لم تؤهلهم مواهبهم واستعداداتهم للمشاركة في النضال من أجل النجاة والاهم .

أقول هذا وبين يدي كتاب نفيعته بحب وترحيب كبيرين .. فما زال الحب هو الذي يملأ
نفسى دائما نحو الاسكندرية وكل ما يأتي من الاسكندرية .. وهذه « قصص سكندرية » في
المعركة ، كتبها نخبة مختارة من أبناء مدينتي ، من الزملاء والأصدقاء ، تعبيرا عن انفعالهم بمعركتنا
الاشيرة ومشاركة منهم في معركة النصر القادمة ، فكيف لا أنقلها بالحب والترحيب ؟

غير أنني ماكدت أمضى في قراءة الكتاب حتى بدأ الحب يختلي والحساسية تقتر ، والانزعاج
الشديد يسيطر على مشاعري ، فلم أكن منه الاوفى نفسي خيبة أمل كبيرة كادت تدفعني الى
تجاهل الكتاب وعدم الإشارة اليه لأنه دون مستوى النقد أو التنويه ، ولكني سرعان ما تنبهت
الى ما في هذا التجاهل من تقصير في حق الأمانة الأدبية وفي حق اخواني أدياء الاسكندرية ، وما
في ذلك من مخالفة لتعاليم الرسول الكريم بنصرة اخواننا طالمين كانوا أو مظلومين ، بأن نردمهم -
إذا كانوا طالمين - عن ظلمهم ، والأدب الرديء الذي قدمه أدياء الاسكندرية في هذا الكتاب يدخل
في باب الظلم الذي ينبغي ردهم عنه ..

ففي الكتاب ثلاثة عشر قصة ليس بينها سوى قصة جيدة واحدة هي قصة « موعده » لمحمد
هريدي التي فازت بالجائزة الاولى في مسابقة نادي القصة في العام الماضي ، وهي قصة عاطفية
نفسية لاصلة لها بالمعركة ، اللهم الا اذا اعتبرنا الإشارة السريعة الى عمل بطليها في السد العالي
أو اللحمة العسائرية عن ذكريات معارك أهالي الاسكندرية مع جنود قوات الاحتلال الانجليزي ،

